الأولويات الحركية في اعقاب أيلول 11

بقلم الداعية الدكتور

فتحي يكن

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد حق الجهاد ونحن على ذلك إن شاء الله من الشاهدين.

وبعد: فمن منهجية الاصلاح عبر قاعدة : ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ {النساء:77 }، إلى منهجية التغيير عبر قاعدة : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ..﴾{الأنفال:39}، برزت وتبرز عشرات المنهجيات والمدارس الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي.

ولقد شهد القرن الماضي ولادة حركات وجماعات تحمل عناوين وأسماء ومسميات إسلامية تُعرف منها وتنكر، وبعضها يمارس من التصرفات ما يرفضه الإسلام ولا يقبله الدين بحال من الأحوال.

وفي أعقاب الحادي عشر من أيلول وما تتابع بعده من أحداث وتداعيات واهتزازات، باتت الساحة الإسلامية بمسيس الحاجة إلى مراجعة صادقة وموضوعية مع ذاتها ومشاريعها ومناهجها وأساليبها ووسائلها وآليات عملها جميعا.

والحركات الإسلامية الكبرى وأم الحركات منها على وجه الخصوص مدعوة لأخذ زمام المبادرة لهكذا خطوة من خلال قراءة متأنية ومراجعة عميقة متفحصة لتجربة تكاد تبلغ من العمر قرنا من الزمن وفي ضوء متغيرات جذرية طالت ساحة العمل الإسلامي وشكّلت معادلات جديدة على كل صعيد....

إن أنماط التربية والتكوين ومنهاجهما كما الخطاب الإسلامي وأساليب الدعوة إضافة إلى المشروع السياسي وخطط العمل باتت تحتاج إلى عميق تفكير وإعادة النظر .

إن البنى التنظيمية والركائز المؤسسية والصفات القيادية تحتاج إلى إعادة بناء وإلى تجديد وتأهيل وتفعيل بحجم المتغيرات والمعادلات التي شهدتها وتشهدها مطالع الألفية الثالثة والتي فتحت بابا لا يغلق لكل الإحتمالات وشتى المفاجآت؟

لم يعد مقبولا استهلاك الطاقات وإحراقها في مفردات وجزئيات كيانية داخلية في حين يواجه الإسلام والمسلمون معركة مصير.... ولم يعد جائزاً الدوران في دوائر تنظيمية ضيقة ومغلقة ورحى الإسلام دائرة وأمة الإسلام في خطرٍ عظيم.

إن بعض ما احتواه هذا الكتاب ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد سائلا الله تعالى أن يتقبله وينفع به وعلى الله قصد السبيل.

في 1 محرم 1423هجري

فتحي يكن

الأولويات الحركية بعد 11 ايلول 2001

محتويات الكتاب

- الاولوية الحركية
- 11ايلول: تناميات وتداعيات وسبل مواجهة
- كيف تعاملت الحركة الاسلامية مع احداث 11 ايلول ؟
- قراءة حضارية للحدث الاميركي
- الارهاب من منظور اسلامي
- العمليات الاستشهادية بين المؤيدين والمعارضين
- قراءة حركية في القواعد الفقهية الخاصة برفع الحرج
- قراءة الاحداث في ضوء السنن الالهية
- مؤشرات الهدى والسداد في الجماعة المسلمة
- شرط صلاح الجماعة المسلمة صلاح قيادتها
- القيادة الراشدة: صفات ومواصفات؟
- قراءة في نتاج انتخابات برلمانية
- السببية في فقه السنن الإلهية
- الاسلاميون والاسلام: حالة انفصام ام التحام؟
- العلاقة بين :"حبنا لله" و"حبنا في الله"؟
- الانذار المبكر في الهدي النبوي

مؤسسة فتى يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

الأولويات الحركية

إن الكلام عن الأولويات الحركية في أعقاب الأحداث التي وقعت في الحادي عشر من ايلول 2001 والتي طالت مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الأميركية في واشنطن وعددا من المواقع الأخرى يؤكد أن ترتيب الأولويات يختلف باختلاف الظروف الناشئة والحاجات الضاغطة والضرورات القائمة وهي ليست واحدة في كل وقت وحين وفي كل زمان ومكان فلكل أولوياته وخصوصياته.

ويجب أن يكون معلوماً أن الأولويات غير الثوابت وأن الثوابت لا تخضع للتغيير والتبديل اللذين تخضع لهما تلك.

والأولويات الحركية غير الأولويات العقدية وغير الأولويات العبادية والتربوية والتعليمية وغيرها، حيث أن لكل جانب من جوانب المنهج الإسلامي أولوياته ، فضلا عن أن هذه الجوانب . بحد ذاتها . مصنفة وفق سلم الأولويات كذلك.

إن من أولويات مقاصد الشريعة وغايات العمل الإسلامي تعبيد الناس لله تعالى في شؤونهم جميعاً: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ {الأنعام:162} .

هذا عنوان عريض وثابت تصطف تحته كل العناوين الأخرى وفق الأولويات التي تقتضيها الإعتبارات المرحلية والحاجية والضرورية والإستثنائية وغيرها وهي حتما ليست سواء ولكن دون أن تصرفها قيد شعرة عن الهدف الأساسي والمقصد الرئيس، فهي أشبه بتوجه المسلم إلى الكعبة الشريفة كائنا ما كان مكانه وزمانه وحاله والذي يتجلى في قوله تعالى:﴿..فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ..﴾ {البقرة:144} .

مثال في أولوية الجهاد:

ففي وقت يشتد التآمر على الإسلام والمسلمين على نحو ما حل بعد الأحداث الأميركية والإنتفاضة الفلسطينية حيث تعرض العالم الإسلامي لحرب صليبية شاملة بذريعة محاربة الإرهاب وحيث يتعرض الشعب الفلسطيني لمجزرة دموية حقيقية من قبل العدو الصهيوني في هذه المرحلة بالذات تصبح الأولوية للجهاد والنصرة ويصبح كل ما عدا ذلك . من أعمال تطوعية . ضرباً من العبث...

ولقد عبر عبد الله بن المبارك . العالم المجاهد . عن هذا المعنى أبلغ تعبير حين نظم قصيدةً شعريةً بحق واحد من أصحابه فضل الإعتكاف في المسجد الحرام على الخروج إلى الجهاد حيث جاء في مطلعها :

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا

لوجدت انك بالعبادة تلعبُ

من كان يخضب خده بدموعه

فنحورنا بدمائنا تتخضبُ

الجهاد والاعداد:

إن إعطاء الأولوية للجهاد في الظروف التي ذكرنا، لا يخرج بالحركة عن منهج الإعداد ولا يصطدم بمقتضياته بل إن الإعداد يصبح أكثر فاعلية وتأثيراً حين يكون في ميادين الجهاد وتعريض النفس لاختبار البذل والتضحية والعطاء؟

مثال في أولوية التعلم :

ففي إطار بناء الشخصية المسلمة يأتي العلم الشرعي في مقدمة العلوم الأخرى على أهميتها وليس أدل على ذلك من اللفتة لذلك الأعرابي الذي جاء الى رسول ﷺ طالباً أن يعلمه من غرائب العلم فقال له سائلا:" **وماذا فعلت في رأس العلم**"؟ فعندما لم يجب الأعرابي ابتدره رسول الله ﷺ بقوله:"**إذهب فتعلم رأس العلم، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم** "قال الأعرابي: وما رأس العلم يارسول الله؟ قال: "**معرفة الله**".

وفي أولويات الأمة اكتساب العلوم المختلفة والمصنفة على أنها (فرض على الكفاية) تصبح في عصر من العصور وظرف من الظروف من (الفروض العينية)، كالعلوم الصناعية والتكنولوجية والعسكرية وغيرها ، وذلك بحسب حاجة الأمة إليها والضرورة المقدرة التي تمليها عليها.

مثال في أولوية الحسبة:

وأود أن أسوق في هذا المجال مثالا ميدانيا في أولويات الحسبة حيال ظرف استثنائي يمكن أن يغني عن الكثير من الشرح والتفصيل.

يذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مر يوما مع بعض تلاميذه على قوم من التتار أطفأت الخمرة عقولهم، مع ادعائهم انتحال الإسلام ، فأراد مرافقوه أن ينكروا عليهم فعلتهم عملاً بنظام الحسبة، فقال لهم "ابن تيمية": (دعوهم ... الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ**﴾ {المائدة:91}.. وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل المسلمين، فدعوهم في سكرهم).

الأولويات الشرعية تقدم على الأولويات الحركية:

ومما تجدر الإشارة إليه والتركيز عليه في هذا المجال . لبالغ أهميته وعظيم خطورته . وجوب تقديم الأولويات الشرعية على الأولويات الحركية، وأي اهتزاز في هذه المعادلة من شأنه أن يأتي على الحركة كلها وعلى التنظيم برمته؟

والمشروع الإسلامي الذي أسس له الإمام الشهيد "حسن البنا" جعل التنظيم في خدمة الإسلام كما جعل مصلحة الأمة مقدمة على مصلحة التنظيم.

كان الإمام المجدد ﷺ وأرضاه يؤسس لمشروع نهضة الأمة وانبعاثها، وكان يَعتبر التنظيم وسيلة هذه النهضة وأداة انبعاثها، ولم يكن التنظيم لديه هدفا من أهداف الجماعة.

ومما يؤثر عنه أن الكثيرين ممن أعجبوا بمنهجه من زعماء الأحزاب والتنظيمات كانوا يُقبلون عليه راغبين في الانتظام بالحركة فكان يدعوهم للبقاء في مواقعهم مبينا لهم المصلحة الإسلامية الكبرى التي يمكن أن تتحقق من ذلك للمشروع الإسلامي الذي يستوعبهم جميعا، في مواقعهم.

أن عدم الأخذ بفقه الأولويات في العمل الحركي، يمكن أن يجعل الحركة في حالة انعدام وزن، يجعلها تخبط خبط عشواء كما يمكن أن يصيب العمل ما يشبه حال الإلتباس أو الضياع، حيث تضطرب القواعد والمعايير، فيصبح أول الشيء آخره وآخر الشيء أوله كما يصبح عالي الأمر أسفله وأسفل الأمر عاليه وصدق الله تعالى حيث يقول :﴿**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾{الملك:22} صدق الله العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

11 أيلول

تناميات وتداعيات وسبل مواجهة

توطئة:

إن حدثا كحدث الحادي عشر من أيلول ليفرض على الساحة الإسلامية عموما والحركة الإسلامية خصوصا، أن تفرد له نصيبا من الدراسة والتقويم، لجلاء خلفياته واستكشاف آثاره المختلفة وبالتالي لرسم توجه سليم ووضع خطة عمل متكاملة لمواجهة مختلف التداعيات التي خلفها والنتائج التي تركها في كل مجال وعلى امتداد العالم ....

تفسيرات الأحداث:

إن التفجيرات التي طالت مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الامريكية بواشنطن، والتي من شأنها أن تؤسس لمرحلة جديدة ستكون لها انعكاسات كبيرة على النظام العالمي وبالأخص على قدرة الولايات المتحدة الأميركية على الاستمرار في قيادة العالم وفي ممارسة دور الوصي على الشعوب المستضعفة وإزلالها ومصادرة خيراتها والتحكم في سياستها ومصيرها...

فالولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت تتجاهل حقوق ومصالح شعوب العالم الثالث، وتفرض هيمنتها الكاملة عليها، ثم هي تمارس الإرهاب المخطط والمنظم ضد كل من يعارض سياستها ولا يذعن لإرادتها، ونسوق هنا بعض من نماذج الإرهاب الامريكي.

نماذج من الإرهاب الاميركي :

- مذبحة الهنود الحمر في اميركا، والتي قال عنها المؤرخ الاميركي "ديفيد ستارند": "انها اكبر مذبحة جماعية في العالم"؟
- قصف مدينتي (هيروشيما ونكازاكي) وقد قتل في ذلك القصف أكثر من ربع مليون شخص ودمرت مدينتان بالكامل ؟
- قصف مدينة مينة (فينة) الفيتنامية بطائرات (ب 52) وتسويتها بالأرض مما أدى إلى مقتل مئات الآلاف من سكانها البالغ عددهم ستمائة ألف نسمة؟

- قصف (ملجأ العامرية) في بغداد على من فيه من المدنيين وقصف (مصنع الشفاء) في السودان بحجة أنه مصنع للأسلحة الكيمائية ثم تبين أنه مصنع للدواء؟

- إسقاط الطائرتين المدنيتين (الإيرانية) و (الليبية) اللتين كانتا تحملان مئات الركاب المدنيين؟

- تدبير متفجرة (بئر العبد) التي أدت الى مقتل وجرح مئات المدنيين ؟

- التسبب بوفاة أكثر من (مليون طفل عراقي) بسبب استمرار الحصار والتجويع الذي تمارسه واشنطن على العراق ؟

1. نماذج من الإرهاب الصهيوني :

كان الصهاينة أول من أدخل الإرهاب أسلوبا في إدارة الصراع ضد أعدائهم حتى قبل قيام دولتهم المغتصبة. وبغض النظر عن آلاف الحوادث والجرائم والمجازر التي ارتكبها اليهود في فلسطين منذ بداية هذا القرن فنكتفي بذكر التالي:

- مذبحة (دير ياسين) عام 1948 والتي ذبح فيها أكثر من 250 شخصاً، منهم مئة امرأة وطفل، على يد عصابة (الارغون) بقيادة (مناحين بيغن)؟

- تصفية الأسرى المصريين في سيناء سنة 1967 وقصف (مدرسة بحر البقر) أثناء وجود الطلبة فيها؟

- ارتكاب مذبحة (صبرا وشاتيلا) التي ذهب ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف من الفلسطينيين معظمهم من: النساء والشيوخ والأطفال؟

- ارتكاب (مجزرتي الحرم الابراهيمي) واللتين أدتا الى استشهاد أعداد كبيرة من المصلين؟

- ارتكاب (مجزرة قانا) عام 1996 التي ذهب ضحيتها أكثر من مئة مدني لبناني في مخيم قانا التابع للأمم المتحدة، وجميع الضحايا من الشيوخ والنساء والأطفال؟

- ارتكاب المذابح المستمرة في مواجهة الإنتفاضة، وتصفية الشعب الفلسطيني والتي يذهب ضحيتها عشرات الشهداء ومئات الجرحى بشكل يومي.

والعالم يعرف حق المعرفة أن السلاح المستخدم هو سلاح أمريكي، وبقرار أمريكي، كما يعرف مدى ما أسقطه أو عطله الفيتو الامريكي من قرارات دولية تدين اسرائيل؟

من هم الفاعلون ؟

اتّسمت سياسة رؤساء الولايات المتحدة الامريكية بالحقد والعداء للإسلام والمسلمين، منذ تأييد (ويلسون) عام 1918 لوعد بلفور، وتأييد (هاري ترومان) لإحلال اليهود مكان الفلسطينيين، مروراً بالرئيس (نيكسون) عام 1992 الذي قال "بأن المسلمين غير متحضرين وبرابرة"، إلى (كارتر) الذي قال: "أن امريكا واسرائيل تتقاسمان تراث الثورة"، ثم (ريغان) الذي عبَر عن إيمانه "باقتراب عودة المسيح الى أرض الميعاد"، ثم (بوش) الأب و(كلينتون) و(بوش) الإبن، الذين يؤيدون طروحات اللوبي الصهيوني الإنجيلي ضد الإسلام؟

ولذلك... وفور وقوع الهجوم على مركز التجارة العالمي [احداث 11 أيلول 2001] وجهت الإدارة الامريكية أصابع الإتهام إلى العالم الإسلامي، دولا وحركات إسلامية.

- فور وقوع الهجوم وبسرعة لافتة وجهت الإدارة الامريكية أصابع الإتهام الى العالم الإسلامي وإلى ما يسمى إرهاباً في الكثير من الدول الإسلامية.
- لم يُخْفِ الرئيس الامريكي بوش مشاعره الحاقدة، حيث دعا دول العالم أجمع إلى شن حرب (صليبية) جديدة على الإسلام والمسلمين.
- كما أن الأمين العام السابق لحلف شمال الأطلسي كان أعلن بعد سقوط الاتحاد السوفياتي قائلاً: "لم يبق لنا من عدو بعد الاتحاد السوفياتي إلا الإسلام "!
- أما رئيس الحكومة الإيطالية فقد أشاد بالحضارة المسيحية، وندد بالحضارة الإسلامية!

ولقد بدا وتأكد من كل ذلك وغيره أن المطلوب هو رأس الإسلام ورؤوس الإسلاميين بشكل عام، لأنهم في نظر واشنطن وبعض العواصم الغربية إرهابيون يجب تصفيتهم، وفي طليعتهم أسامة بن لادن وحركة طالبان التي تؤويه وتدافع عنه.

بدأت أمريكا تحشد قوى العالم وتسعَر الحرب ضد أفغانستان بذريعة الإقتصاص من طالبان والإتيان بابن لادن حياً أو ميتاً، ومن غير تقديم أي دليل قطعي على تورطه بالهجوم!

الطائرات المتفجرة اختطفت الكترونياً:

واليوم وبعد مرور ما يقارب السبعة أشهر على حوادث الحادي عشر من أيلول يتم اكتشاف خفايا جديدة ومدهشة عن الحادث، حيث نشرت مجلة الصياد اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ 15\3\2002، وتحت عنوان عريض على الغلاف يقول: "محققون أمريكيون يقلبون رواية أحداث

11 أيلول رأساً على عقب"، ولقد جاء في مقدمة التقرير الطويل المفصل والموثق ما يلي: "واليوم يتولى محققون خاصون "جو فاليز" و "كورنس ماي" وغيرهما كشف ملابسات ما يسميانه "فضحية "المؤامرات التي تجلت بالطائرات التي دمرت برجي مبنى مركز التجارة العالمية ".

ويقول هذان المحققان: "إن اتهام إرهابين عرب باختطاف الطائرات إنما هو جزء من المؤامرة المبيتة منذ وقت طويل".

ويفاجئ المحققان العالم بنشر كشوفات أسماء أطقم ركاب الطائرات المختطفة وليس بينهم اسم واحد لعربي من الذين قيل أنهم الفاعلون والمثل يقول "الأموات لا يتكلمون "؟

في تداعيات 11 ايلول :

جُل ما يُكتب اليوم ومن تاريخ الحادي عشر من أيلول 2001 تحديداً يتركز حول تداعيات الحدث الامريكي على الساحة الإسلامية المتمثل بالهجمات على مركز التجارة العالمي ومبنى وزارة الدفاع الاميركية "البنتاغون".

والحقيقة أنه بقدر ما خلّف الحدث من تداعيات على الساحة الإسلامية فإنه خلّف الكثير من التناميات كذلك وكما تكون المحنة منحة يكون فيما نكره أحيانا مدخل إلى ما نحب، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿..وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾{البقرة:216}.

والمطلوب من أهل الفكر الإسلامي والعلماء والدعاة فضلا عن الحركات والجماعات الإسلامية أن لا تحجب عنهم ضخامة الحدث وردود فعله السريعة والمريعة رؤية الأبعاد الأخرى ومن زوايا متعددة .

فالقراءة السريعة لأي حدث كبير غالباً ما تكون حالة من حالات ردة الفعل العفوية والسطحية أو المحكومة بظروف مكانية وزمانية وشخصية محددة وهي بالتالي ليست القراءة الهادئة العميقة المتأنية الشاملة المطلوبة؟

وإنني في هذه الدراسة المختصرة سأحاول . بعون الله . قراءة الحدث واستكشاف سلبياته وإيجابياته وتداعياته وتناميات كمبادرة تحريضية تهدف إلى أعمال الفكر والعقل وبعينين اثنتين تريان محاسن الأمور كما تريان مساوئها متمنيا على أهل الخبرة والعلم والسابقة في العمل الإسلامي أن يحاولوا منفردين ومجتمعين استكشاف الأبعاد التي خلفتها وتخلفها وستخلفها

أحداث 11 ايلول 2001 إضافة الى توظيف ما حدث في خدمة الإسلام ومصلحة المسلمين والله المستعان.

في التداعيات :

إن من الطبيعي أن يؤدي حدث القرن إلى تداعيات قد يشهدها القرن كله... ليس أولها حرب الإبادة التي شهدتها أفغانستان ولن يكون آخرها تلك التي يمكن أن يشهدها الصومال أو العراق أو إيران أو سوريا أو أي بلد عربي آخر... فالمعركة بين الإسلام وأعدائه فتحت أبوابها على مصراعيها وقد لا تغلق أبوابها أبدا وهي شكل من أشكال الصراع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة وهذه سنة من السنن الإلهية: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ {الأحزاب:62}، وهي ترجمة عملية لسنة التدافع التي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿..وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا..﴾{الحج:40}.

في ضوء ذلك لا يسعني إلا أن أسوق بعضا من هذه التداعيات على سبيل المثال لا الحصر وتحت عناوين عريضة منها :

1 -التداعيات الأمنية: التي جندت لها الولايات المتحدة الاميركية كل أجهزتها المركزية وشبكة مراكزها الدولية فضلا عن كل قواها العسكرية كما سخرت لها مجمل علاقاتها السياسية والديبلوماسية مع دول العالم من أجل القضاء على الصحوة الإسلامية والنيل من الإسلام والمسلمين تحت ذريعة محاربة الإرهاب؟ (قوائم الإرهاب)، (القتل والإغتيال)، (الملاحقة والسجن) على غرار حملات الاعتقال التي طالت عشرات من قياديي الإخوان المسلمين مؤخرا في مصر؟ إضافة إلى إصدار قوانين من شأنها حظر الدعوة إلى اجتماعات عامة أو تظاهرات.

2 - التداعيات الاقتصادية والمالية: من خلال (حجز الأموال والممتلكات ومصادرتها)، (تجفيف الموارد)، (التضييق على المؤسسات الخيرية)، (رفع السرية المصرفية) ولا أدل على ذلك من حملات المداهمة والمصادرة التي قامت بها الإدارة الأميركية في مطلع ديسمبر 2001 ضد الجمعيات الإسلامية الاميركية بحجة دعمها الإرهاب عموما وحركة المقاومة الإسلامية بوجه الخصوص. إضافة إلى القيود الكبيرة والشديدة التي بدأت بعض الدول العربية والإسلامية بفرضها على الجمعيات الخيرية التي تمول أنشطة خيرية وإنسانية في دول وأقطار أخرى.

يضاف إلى كل ذلك وضع اليد الامريكية على المناطق الاستراتيجية في العالم الإسلامي وعلى ثرواتها المختلفة وبخاصة نفطها وإقامة قواعد عسكرية كتلك التي أقامتها بعد الاجتياح العراقي للكويت والتي أقيمت مؤخراً في باكستان وبعض دول آسيا الوسطى؟

3 - التداعيات التربوية والتعليمية: التي تستهدف المعاهد والجامعات الشرعية باعتبار أنها في نظر الولايات المتحدة الاميركية من أهم محاضن ومصانع الإرهاب والإرهابيين في العالم؟

ولقد أدى ذلك في اليمن مثلاً إلى ترحيل عدد كبير من طلاب المعاهد الدينية والجامعات الإسلامية الأجانب إلى بلادهم كما دفع الحكومة في ماليزيا إلى البدء بوضع قوانين وتشريعات من شأنها وضع اليد على المؤسسات التعليمية الدينية إدارات ومعلمين ومناهج وطلابا؟ فعلى سبيل المثال وبحسب ما صرح به (يحيى اسماعيل حلبوش) أمين عام جبهة علماء الأزهر أن الضغوط الاميركية على الأزهر أدت إلى إجراء تعديلات على المناهج التعليمية كان منها :

حذف مادة الفقه المذهبي، إلغاء أبواب الجهاد من المرحلة الإعدادية، حذف 12 جزءاً من القرآن الكريم في المرحلة الإبتدائية، حذف تفسير النسفي في المرحلة الثانوية وأشار حلبوش إلى أن هذه النماذج هي قليل من كثير مما طاله الحذف والتعديل!

ولقد بدأ الحملة هذه رئيس الوزراء البريطاني ثم تبعه وزير الخارجية الاميركي (كولين باول) الذي أشار . من خلال محاضرة ألقاها في جامعة لوسفيل بولاية كانتاكي . إلى بلورة مشروع رؤية اميركية للإسلام وصفها بعض المفكرين الاسلاميين بـ(الإسلام المعدل) والتي رُصد لها في باكستان لوحدها . بحسب مصادر مطلعة . مئة مليون دولار.

4 - التداعيات الدعوية: من خلال إحكام القبضة الرسمية على المساجد، النوادي، ودور النشر، والمكتبات، ووسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، ومواقع الانترنيت، وغيرها من أجل تدجينها وترويضها بحسب متطلبات ورغبات العولمة الاميركية.

وبالفعل بُدئ بوضع قوانين من شأنها إلغاء الإشراف الأهلي على المساجد والحاقها بالمؤسسات الدينية الرسمية خطابة وخطاباً وإمامة وتدريساً الخ...

كما بدئ بالتحريض على إغلاق بعض الفضائيات الحرة وغير المرتهنة لأحد أو جهة؟

5 - التداعيات الإجتماعية والسياسية: من خلال خلق حالة عداء مستفحل ومتفجر بين الحكومات وبين الشعوب وبينها وبين الحركات الإسلامية مما يؤدي إلى حروب استنزاف داخلية تطال الإثنين معا وتضعفهما وتصرفهما عن التفكير والتحسب والإعداد لمواجهة أية مخاطر خارجية داهمة؟ وهذا ما نشاهد نماذج عنه اليوم في عدد من الدول العربية والإسلامية كاليمن وباكستان وأفغانستان وماليزيا وتركيا وغيرها.

في تناميات وإيجابيات الحدث:

إما التناميات والإيجابيات التي تحققت والتي يمكن أن تتحقق من خلال أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 فإنها كثيرة ومتنوعة كما أن منها ما هو سريع التحقق والظهور وما هو بطيء ومتأخر.

وفي هذه العجالة سأتوقف عند عدد من النماذج على سبيل المثال لا الحصر متمنيا على أولي النهى والعقول النيرة استكشاف وإضافة المزيد من ذلك لاستنقاذ المحبطين وأصحاب النظرات السوداء والذين ظنوا أن أحداث أيلول هي نهاية الحياة والطامة ليس لها كاشفة؟

أسقطت أحداث 11 ايلول عقدة الخوف من القوى الطاغية والمستكبرة والتي ظن الكثيرون ولا يزال يظن غيرهم أنها لا تهزم تماما كما أسقطت الإنتفاضة والمقاومة أسطورة الدولة التي لا تقهر.

والإسلام يرفض حالة الانهزام النفسي هذه التي تولد الإستسلام والقعود بحجة عدم القدرة على التغيير أو عدم جدوى التغيير؟

واللفتة النبوية التي تؤكد هذا المعنى بالغة الوضوح في قوله ﷺ: "اذا رأيت أمتي تهاب ان تقول للظالم : يا ظالم فقد تودع منها"

طرحت الأحداث الإسلام كنظام عالمي قادر على تحقيق التوازن العالمي ووقف حالة الهيمنة والغطرسة والتحكم وعلى الأقل في المرحلة الأولى ملامسة مساوئ إحادية النظام الدولي تجاه ما يجري بإسم الإسلام تخلفا أو تطرفا سواء من قبل القوى الرسمية أو الأهلية.

من تناميات الأحداث وإيجابياتها ما صدر عن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة من 21/ 26 شوال 1422هجري الموافق 10/5 يناير (كانون الثاني) 2002 الذي أوصى وأكد على (اعتماد وتأصيل منهاج الوسطية ومعالجة الغلو الذي ذمه الإسلام

والتقيد بوسطية هذا الدين في القول والعمل والسلوك) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا..﴾ {البقرة:143} مما يعتبر انتصارا للحركات الإسلامية التي اعتمدت هذا المنهج منذ مطلع هذا القرن، بعيداً عن التطرف والإفراط والتفريط الذي دعت إليه بعض الفئات، والذي تسبب ولا يزال يتسبب بالكثير من الفتن والمآسي على امتداد العالم الإسلامي .

ومن هذه التناميات حالة الإقبال على قراءة الكتاب الإسلامي من قبل شعوب الدول غير الإسلامية والتي استوقفتها أحداث 11 أيلول ومن ثم اتهام الإسلام والمسلمين بها وهذا بحد ذاته كسبّب كبير: ﴿.. لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ..﴾{النساء:165} حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل؟ يقول الأستاذ (بسام اسطواني) صاحب دار القرآن الكريم وعدد من أصحاب دور النشر الأخرى: أن مئات الكتب الإسلامية تعاد طباعتها اليوم لتلبي حالة التزايد الكبيرة من الغربيين على قراءة هذه الكتب، وقول (الدكتور وليد أحمد فتيحي) عضو هيئة التدريس في كلية الطب بجامعة هارفرد وأحد قياديي الجمعية الإسلامية في بوسطن : بتاريخ 16 سبتمبر قامت الجمعية بتوجيه دعوة مفتوحة للأمريكيين للاستماع إلى كلمات الإسلام حيث لم نتوقع حضور أكثر من مئة شخص وكانت المفاجئة حضور أكثر من ألف شخص من أساتذة الجامعات ورجال الدين وكبار القساوسة وانهالت علينا أسئلةً كثرةً تريد أن تتعرف على الإسلام حيث أنهم لم يسمعوا به إلا من خلال وسائل الإعلام المغرضة. وبتاريخ 21 سبتمبر شارك المسلمون في اجتماع مغلق مع حاكم ولاية ماستشوستس حيث تمت مناقشة فكرة إدخال مادة تعليم الإسلام في المدارس كمنهج دراسي لتوعية الشعب الاميركي بالإسلام وتمت الموافقة وبدأت الخطوات العملية لتنفيذ هذا التوجه ويختم الدكتور فتيحي كلامه قائلا: كلي ثقة بأن الإسلام سينتشر . إن شاء الله . في أميركا والعالم خلال الأعوام القادمة أسرع مما كان عليه سابقاً حيث أن العالم أجمع بات يتساءل عن الإسلام).

ملاحظة: تنشط وسائل الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمرئي ووسائل الإتصال المختلفة كالإنترنت عبر المواقع الإسلامية المتعددة كموقع إسلام أون لاين والشبكة الإسلامية وموقع الشيخ القرضاوي وغيرها في تنظيم الحوارات المباشرة حول الأحداث الأخيرة والتي باتت تستقطب الكثيرين من كل أنحاء المعمورة .

ملاحظة: البدء بمناقشة تجارب المنهجيات الإسلامية التغييرية التي كانت معتمدة خلال القرن الماضي عبر المؤتمرات الخاصة والندوات العامة والمحاضرات والنشرات والصحف والكتب وغيرها، وهذه ماكانت لتكون بالرغم من مسيس الحاجة إليها وتكرار المطالبة بها لولا الحدث الصدمة الذي أيقظ النائمين ونبه التائهين ودفع بالحيارى إلى تلمس المنهجية الإسلامية الصحيحة في عملية التغيير.

ومن تناميات الحدث أنه أخرج خبايا النفوس الحاقدة الصليبية والصهيونية والتي جرت ابتداءً على لسان الرئيس الاميركي بوش واصفا حملته الصليبية، وتبعه من قال (لم يبق لنا من عدو بعد الشيوعية الحمراء إلا الإسلام وصولا إلى ما أعلنه المسؤول الإيطالي (برلسكوني) من أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الاسلامية، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿..**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ..**﴾{آل عمران:118}.

بروز متغيرات إيجابية على الخطاب الإسلامي الرسمي في عدد من الدول الإسلامية، وإن قابلها انكفاء في هذا الخطاب لدى آخرين؟ واحتسابنا للتغيير الإيجابي هذا كأحد أبرز التناميات، لكونه يشكل خطوة جريئة وملفتة على طريق (أسلمة الخطاب الرسمي) وبالتالي (أسلمة الموقف الرسمي) وأمنيات اليوم حقائق الغد.

بروز تنام ملحوظ وواسع في مواكبة الشارع العربي والإسلامي للأحداث، إضافة إلى الإجماع الشعبي والجماهيري على إدانة التحالف الغربي وبخاصة الاميركي والبريطاني وحرب الإبادة التي شنها على أفغانستان، والتي يمكن أن تطال دولا إسلامية أخرى مما أكد وحدة الشعوب الإسلامية في مواجهة التعديات والتحديات والمؤامرات .

الجوانب السياسية في مشروع مواجهة التداعيات:

حيال الذي جرى ويجري من تداعيات على مختلف الصعد، وفي ضوء ماهو منتظر حصوله على الساحة الإسلامية، بات من واجب الحركة في كل مكان، أن تحدد موقفها من هذه التداعيات، إضافة إلى سبل مواجهتها، وعلى أن تضمن الخطط المرحلية الجديدة كل هذه الاعتبارات والحيثيات. من ذلك:

1 - العمل على توحيد القلوب والصفوف، من خلال معالجة جذرية لكل ظاهرة مرضية داخلية، وإعادة بناء الجسم التنظيمي والأخوي على تقوى من الله وصدق وإخلاص، وعلى أن يبدأ الإصلاح من قمة الهرم إلى قاعدته، وليس العكس.

2 - القيام بخطوة مدروسة تهدف إلى إعادة احتضان واستيعاب كل من ابتعد عن العمل لسبب او آخر، مع بقائه على الجادة وعلى الصراط المستقيم.

3 - الاهتمام بالساحة الإسلامية عموما، وإعادة صياغتها وتوحيدها من جديد في ضوء التجارب السابقة، وتأهيلها لمواجهة كافة الاحتمالات والتوقعات، ومنعاً من اختراقها واستغلالها.

4 - إيلاء الجانب التربوي الأهمية المطلوبة شرعا، والواجبة ظرفا ومرحلة، والمقدمة أولوية، واعتبار أن معظم ما أصاب الساحة الإسلامية من تداعيات جاء نتيجة تعطل أو ضعف هذا الجانب، بما يستتبع ذلك من إعادة النظر في المنهج والمحاضن التربوية المعتمدة.

5 - إحياء الدور الدعوي وتجديد الخطاب الإسلامي وتفعيله، وفق برامج وموضوعات ومناسبات مختارة ومدروسة، مع ملاحظة ضرورة ضبط الأداء الدعوي وتطوره.

6 - تفعيل الدور السياسي المؤسسي للحركة في المجتمع الأهلي، وحيال الأحداث اليومية، والقضايا الهامة والمصيرية، وإطلاق حملةٍ إعلامية لإدانة الحرب الصليبية على الإسلام والمسلمين.

7 - تقوية العلاقة بالمرجعيات الإسلامية الرسمية المختلفة، والسعي إلى زرع الدعاة المميزين في مواقع الإمامة والخطابة والتدريس، استباقا لمحاولات التضييق على هذه المواقع وعلى القائمين بها.

8 - تفعيل الحوار الإسلامي المسيحي والتأسيس لمشروع سياسي يلحظ الخصوصيات التعددية في المجتمعات المختلطة.

9 - تنظيم وضبط واستثمار العلاقة مع كل مؤسسات الدولة، من خلال الزيارات، والمقترحات، المؤتمرات، والمناسبات المختلفة بقصد خلق حالة من الاطمئنان والتنسيق والتعاون، درءاً للكثير من المفاسد وتحقيقا لمثلها من المصالح.

10 - إعادة النظر في المشروع الإسلامي الإغترابي من خلال عرض رسالة الإسلام بصورتها النقية في الديار التي يقيمون أو ينزلون فيها، لدفع الكثير من الشبهات عن الإسلام، ولاسقاط العوائق التي تقف في طريق العمل الإسلامي، فضلا عن إسقاط محاربة الإسلام بذريعة محاربة الإرهاب.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كيف تعاملت الساحة الإسلامية مع احداث 11 ايلول

لاشك أن أحداث الحادي عشر من أيلول من العام 2001 المفاجئة أحدثت هزة عنيفة وإرباكاً على امتداد الساحة الاسلامية، مما دفع بكثير من الاسلاميين بادئ ذي بدء الى اعتبار ما جرى خيارا لافتا ونوعيا في عملية ومنهجية التغيير الاسلامي، يمكن ان يعتمد ويحتذى حيث اسماه البعض: خيار التغيير من فوهة البندقية، إيمانا منهم بوجوب وحتمية الأخذ بهذا الخيار دون سواه.

وبذلك أسقط هؤلاء من حسابهم كل خيارات التغيير الأخرى (الاجتماعية والسياسية والشعبية والدستورية) وغيرها.. وذهب البعض إلى اعتبار خيار 11 أيلول من شأنه أن يختصر ويختزل الزمن، ويحقق تقويض وإسقاط القوى المضادة، وبلوغ مواقع السلطة والقرار، بأدنى كلفة وأسرع وقت ومن شاهق، كما قوضت الطائرات المدنية مركز التجارة العالمي في أقل من ساعة؟

في اعتقادي أن ردود الفعل السريعة والعفوية التي طالت الساحة الإسلامية عقب وقوع الحدث مباشرة لم تستمر طويلا على نفس المستوى والكيفية، حيث حلت محلها كثيرٌ من العناصر الواقعية والعقلانية، مما أعاد التوازن ودفع إلى دراسة وتمحيص الحدث في ضوء كل المكاسب كما في ضوء كل الخسائر عاجلها أو آجلها؟

قراءتنا كحركة للحدث :

بالنسبة إلينا كحركة لها مفهومها ومنهجيتها في العمل، وهي مبْنية على ثوابت وقواعد وأصول شرعية، كما على سنن إلهية، فقد تعاملنا مع الحدث بموضوعية ومسؤولية، وفي ضوء تقويمنا لبدايته ونهايته، ونتائجه القريبة والبعيدة، الضارة والمفيدة، بعيداً عن التفاعل العاطفي وردات الفعل الآنية العفوية.

نحن مطالبون كإسلاميين بقراءة الحدث كمنهجية وخيار وكمفردة من مفردات مشروع طارئ على ساحة العمل الإسلامي ...

هل يمثل الذي حدث منهجية مشروع متكامل المراحل والحلقات، أم أنه عمل انتقامي ردعي . لا أكثر . من قوة عظمى طاغية في العالم؟

هل يشكل هذا العمل مناخا جيداً لحركات التغيير الإسلامي في العالم، أم أن ضرره أكبر بكثير من نفعه، ويمكن أن يكون مدمراً ومأسوياً؟

هل يمتلك أصحاب الخيار من الامكانات والعلاقات ما يؤهلهم . في حال نجاحهم العسكري . من الإمساك بقيادة العالم، والبلوغ بمشروعهم مواقع السلطة والقرار في العالم الإسلامي؟

هل يصح اعتبار الحدث مجرد (فشة خلق) وصفعة قوية وموجعة للولايات المتحدة الاميركية كقوة ظالمة باغية، وإن لم يلحق ذلك ويتبعه تغيير حقيقي وملموس في واقع النظام العالمي ومعادلاته ؟

لاشك أننا ضد الدور القمعي المنحاز الذي تمارسه واشنطن مع الدول العربية والإسلامية كما مع دول العالم الثالث، ولكننا . كذلك وفي المقابل . لسنا مع ممارسات هوائية غير مدروسة وغير ناضجة، من شأنها أن تمنح الدور الاميركي مزيداً من القوة والمنعة، وتقدم له زرائع ومبررات لسحقها لم يكن ليحلم بها؟

أمامي الآن مشروع كتاب جديد، مستقى من مئات الأسئلة والتساؤلات التي طرحتها أحداث الحادي عشر من أيلول على الإسلاميين وعلى ساحة العمل الإسلامي، وهو بمثابة دراسة موضوعية للمتغيرات القريبة والبعيدة التي ينتظر أن تشهدها هذه الساحة في أعقاب الأحداث المذكورة .

العولمة الاميركية بعد 11 ايلول :

وثمة أمر آخر يجب ملاحظته لدى تناولنا لتداعيات 11 أيلول، وهي أن هذه الأحداث أعطت العولمة الاميركية زخما قوياً، وفتحت أمامها آفاقاً جديدةً، كترجمة لحالة الهلع والدفاع عن النفس التي انعكست على الإدارة والمؤسسات والحياة الاميركية.

فعولمة الحرب التي كانت في الماضي ممهورة بطابع التوسع والهيمنة والاستعمار تلبس اليوم لبوس محاربة الإرهاب وتحقيق العدالة والإنسانية، وبذلك تختفي عن العلن الأهداف الحقيقية التي تحرص أمريكا على بلوغها سواء في حربها على افغانستان أو تحريكها للصراع الهندي الباكستاني، أو تأييدها ودعمها المطلق لسياسة المجرم السفاح شارون.

حيال هذه المتغيرات العالمية، وتَحفْز واجتياح العولمة الامريكية للمواقع الاستراتيجية في القارات الخمس، مطلوب من العرب والمسلمين كما من الدول الأوربية ودول شرقي آسيا وافريقيا

أن تؤسس لإقامة قطبية أخرى تصارع القطبية الاميركية، كي تكبح جماحها وتحد من جبروتها وتحقق التوازن المطلوب في النظام العالمي .

إن العالم الإسلامي بما لديه من إمكانات ومواقع استراتيجية على كل صعيد يمكن أن يشكل أساسا لقطبية حضارية قوية، كما أن الساحة الإسلامية يمكن أن تلعب دوراً فاعلاً في عملية الارتقاء بالمشروع العربي والإسلامي من حال التبعية والذيلية إلى واقع مثلي وندي متكافئ.

إن " العولمة الأميركية الصهيونية " لا يمكن أن يتكافأ ويصمد بالمواجهة معها إلا "مشروع العالمية الإسلامية" على مستوى الأنظمةالإسلامية الرسمية، كما على مستوى المنظمات والتنظيمات الإسلامية الأهلية .

إن كل ما عدا ذلك من مشاريع يبقى مشاريع أزقة وشوارع ومربعات فئوية لا ترقى إلى مستوى عالمية التحدي، وهي وإن لبست لبوس الإسلام، فإن الإسلام منها براء.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

قراءة حضارية للحدث الإميركي

عندما بدأت الولايات المتحدة الاميركية شن هجماتها العسكرية على افغانستان ردا على ما تعرضت له يوم الحادي عشر من أيلول الماضي، تكون قد أكدت إصرارها على متابعة نفس السياسة التي تسببت لها بالضربة الموجعة التي طالت المفصلين الرئيسيين في بنيتها، والتي من شأنها أن تبتعث المزيد من مشاعر الكراهية لها وبواعث الانتقام منها؟ مما يؤدي إلى استنساخ بلا حدود لظاهرة (بن لادن) و (طالبان)؟

صحيح أن الإسلام دين الرحمة ويدعو إليها، ودين الإنسانية ويعمل لبلوغها... إنما الإسلام كذلك دين العدالة والحرية والمساواة، وهو يحارب الظلم في كل أشكاله، ويكافح من أجل تحرير الإنسان وتحقيق المساواة بين الناس والشعوب والأعراق وشعاره في ذلك (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟).

ولم أجد أدل على ما أقول من الخطاب الذي القاه بطريرك إنطاكية ميخائيل الأكبر . وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر بعد أن خضعت الكنائس الشرقية للحكم الإسلامي خمسة قرون . والذي تحدث فيه عن تسامح المسلمين واضطهاد الروم للكنائس الشرقية، حيث قال: (وهذا هو السبب في أن الله الذي تفرد بالقوة والجبروت والذي يديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من شاء ويرفع الوضيع، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة، فنَهبوا كنائسنا وسلبوا ديارنا، وأنزلوا فينا العقاب بدون رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل العرب من الجنوب "جزيرة العرب" ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم، ويوقع فيهم العقاب اللازم!!) (راجع كتاب من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي).

لم يكن الإسلام يوماً دعوة إرهاب وعنف . وهو دين المحبة والرحمة والمساواة . لكنه لايرضى لأتباعه أن يقفوا مكتوفي الأيدي بينما تنتهك حرماتهم وتستباح دماءهم وتستلب أموالهم وثرواتهم وتحتل أراضيهم وبلادهم على امتداد العالم الإسلامي؟؟

والمسلمون وغيرهم ممن تشن عليهم حروب إبادة معذورون إن قامت فيهم فئات وجماعات ترد عنهم البغي والعسف والعدوان وتدفع الإرهاب بمثله أو أشد، لأنه إن فقد العدل سقط الأمن والسلام، وأي أمن وأي سلام هذا واسرائيل . صنيعة اميركا وابنة بريطانيا البكر . تخوض حرب إفناء وإبادة ضد الأبرياء والمدنيين . نساءً وشيوخاً واطفالاً. بأسلحة الدمار الشامل الاميركية؟

من هذه الزاوية يمكن النظر إلى الأحداث التي طالت الولايات المتحدة الاميركية .

فالولايات المتحدة الاميركية تقطف اليوم ثمار ما زرعته من كراهية لدى الجهات وفئات وشعوب كثيرة في العلم؟

فعلى امتداد القرن الماضي خلفت بصمات لاتنسى من العنف والإرهاب والجرائم في عمق المجتمعات البشرية، مايسمى بالعالم الثالث... فقد قتلت الملايين من الأبرياء، ودمرت المئات من المدن فوق رؤوس أصحابها، وهي قمعت وشردت شعوبا بكاملها؟

وهي التي ساندت ودعمت وأيدت الصهيونية العالمية، وربيبتها إسرائيل على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، والتي تقوم اليوم بارتكاب مجازر جماعية بحق الشعب الفلسطيني وبالسلاح العسكري الاميركي، وتمارس حرب إبادة؟

والولايات المتحدة الاميركية تتحمل مسؤولية إنهيار الأوضاع الاقتصادية في العديد من دول العالم من جراء لعبة الدولار وغيرها .

إنه ليس لدولة في العالم الحق في أن تتدخل في شؤون الدول الأخرى، محركة الفتن، محرضة الشعوب على حكامها، لأنهم خرجوا عن طاعتها، متلاعبة باقتصادها إلى درجة الإفقار والتدمير، وواضعة السيناريوهات بما في ذلك تدبير الاغتيالات والانقلابات؟

كما أنه ليس لدولة بالغة ما بلغت عظمتها وقوتها . ولله العظمة والقوة جميعا . أن تعبث بمصائر الدول الأخرى وشعوبها تحت أية ذريعة أو حجة؟ كيف وأن الولايات المتحدة الأميركية تمارس هذا الدور بعيداً عن مبدأ العدالة والمساواة؟

وبدل أن تكون اميركا على مسافة واحدة من كل القضايا العالمية . وبخاصة الإنسانية منها والمشروعة . فقد اختارت أن تكون مع الباطل والظلم والعنصرية بدل الحق والعدل والمساواة..

أما والحالة هذه . من غير اعتبار واتعاظ . فإن على اميركا أن تنتظر المزيد من الضربات والنكبات، من كل من طالهم ظلمها وبغيها وإرهابها، وليس من ابن لادن فحسب، الذي لم تثبت إدانته حتى اللحظة بالأدلة القطعية الدامغة؟

إنها نصيحة أوجهها إلى الولايات المتحدة الاميركية . دولة وشعبا ومؤسسات . قبل أن لا يجدي النصح شيئا؟

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الإرهاب من منظور اسلامي

توطئة:

يعيش العالم وبخاصة بعد أحداث 11 أيلول . هاجس الإرهاب والإرهابيين فيما يشبه التصورات الخيالية الأسطورية .

وتتبارى المؤسسات المختلفة، السياسية والعسكرية والقضائية والأمنية والثقافية والإعلامية، في تحديد معنى الإرهاب... بل إن جوائز خصصت لمن يأتي ببحث عن الإرهاب يضفي به الشرعية على حروب الإبادة التي تشنها الولايات المتحدة الاميركية وحلفائها بذريعة محاربة الإرهاب الذي له طعم واحد ولون واحد وجنسية وهوية واحدة، وهو عمل يسمى زوراً وبهتانا:

الإرهاب الأصولي الإسلامي ولو كان دفاعا عن النفس والعرض والأرض؟ وفي وقت ترتكب فيه الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل أبشع المجازر بحق الشعبين الفلسطيني والأفغاني ودون حسيب أو رقيب؟

من هنا كان لابد من تبيان وجهة النظر الإسلامية من قضية الإرهاب وحتى لا تتمكن عولمة المفاهيم من غزو عقولنا وثقافاتنا وأجيالنا، فنصبح لها أسرى كما أصبحنا أسرى (مأكولات الماكدونالد، والبيتزا هوت، والهامبرغر، والبيبسي كولا، والمالبورو، وغيرها من المنتجات الاميركية المستوردة).

معنى الارهاب :

الإرهاب لغة يعني: الترويع والتخويف سواء كان نفسياً أو حسياً. وهو عرفاً: القيام بأعمال من شأنها القاء الرعب، وإشاعة الذعر لدى فرد أو جماعة أو دولة. وهو شرعاً بحسب مقاصده ومبرراته، وهو حالات وأنواع مختلفة :

1 - فهناك الإرهاب المذموم الذي يمارس ضد الأبرياء والآمنين من خلال الاعتداء عليهم ظلماً وعدواناً ومن غير سبب ارتكبوه أو فعل اجترحوه.

2 - وهناك إرهاب محمود يمكن أن يمارس لردع المعتدين، والدفاع عن المظلومين، لصيانة حقوقهم وحفظ دمائهم وأعراضهم وأوطانهم. (دفاع المظلوم والضعيف عن

نفسه)+(المقاومة لتحرير أرض مغتصبة)+(حركات التحرر من الهيمنة في العالم)+(حركات الاستقلال عن الاستعمار).

3 - فالإسلام في الحالة الأولى لايجيز بحال (الإرهاب العدواني) ولو بحق غير المسلمين مصدقا لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ {الممتحنة:8}.

إنما يجيز الإسلام (الإرهاب الدفاعي) لرد العدوان وتأديب المعتدين والنيل من الظالمين، ومن هنا قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ {البقرة:194}، وقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ {الأنفال:60}.

الإرهاب في التاريخ الاسلامي:

ما عرف تاريخ الإسلام إلا الرحمة والعدالة والمساواة في تعامل المسلمين مع غيرهم وهو سر انتشاره في العالم ودخول الناس في دين الله أفواجا .

لن أقدم بين يدي هذا الكلام شواهد قرآنية أو نبوية . وما أكثرها . وإنما أكتفي بتقديم شواهد تاريخية ميدانية مضيئة شهدت بها مرجعيات مسيحية على إنسانية وعدالة ورحمة الإسلام وأتباعه مكتفياً بشاهد واحد:

في القرن الثاني عشر وبعد أن غدت الكنائس الشرقية تحت الحكم الإسلامي طوال خمسة قرون ألقى بطريك أنطاكية ميخائيل الأكبر خطاباً تحدث فيه عن تسامح المسلمين واضطهاد الروم للكنائس الشرقية حيث قال: (وهذا هو السبب في أن الله الذي تفرد بالقوة والجبروت والذي يديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء ويرفع الوضيع، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنَهبوا كنائسنا وسلبوا ديارنا وأنزلوا فينا العقاب بدون رحمة ولا شفقة أرسل أبناء إسماعيل "العرب" من الجنوب "جزيرة العرب" ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم ويوقع فيهم العقاب اللازم) راجع "من روائع حضارتنا" للدكتور مصطفى السباعي، ص 92.

الإرهاب في التاريخ الاميركي : عن: (إسلام أون لاين)+ (تصريح)+ (مقابلة قاسم قصير في المستقبل)

إن الهجمات المركزة والسريعة التي طالت معظم المواقع القيادية المركزية في الولايات المتحدة الاميركية . الاقتصادية منها والعسكرية والسياسية والإدارية . وإن الضربات الموجعة التي تلقتها

الإدارة الاميركية بكل مؤسساتها ويصرف النظر عمن يقف وراءها هي من وجهة نظرنا ردة فعل طبيعية لحصاد طويل وتركة مثقلة من الجرائم الاميركية المرتكبة بحق معظم الشعوب الضعيفة والمستضعفة في العالم كما لحروب الإبادة التي تعرضت لها البشرية في معظم القارات وبخاصة الآسيوية منها الإفريقية على امتداد القرن الماضي ؟

إن أسلحة الدمار الشامل الاميركية تسببت بإبادة وإفناء الملايين من الناس في كل مكان كما إن القنابل الذرية الاميركية حولت مدنا آهلة بالسكان كهيروشيما

وناكازاكي إلى مقابر جماعية كما طالت الجبروت العسكري الاميركي العديد من دول وشعوب العالم كاليابان والصين والعراق ولبنان وسوريا وليبيا وإيران وصولاً إلى فلسطين التي تلقت النصيب الأكبر من القتل والإبادة والتي ينفذ بحق شعبها نساء ورجالا وأطفال ورضعا وشيوخا حكم الإعدام الجماعي بواسطة الآلة العسكرية الاميركية واليد الصهيونية الجبانة القذرة؟

مدرسة اميركية لصنع الارهابيين:

"الحكومة الاميركية تصنع الإرهابيين منذ 55 عاماً لكن أحداً لم يتهمها مرة بذلك "هكذا بدأ الكاتب البريطاني "جورج مونبيوت" مقالاً له بصحيفة "جارديان" حول معسكر في ولاية جورجيا تشرف عليه الحكومة الاميركية منذ 55 عاماً لتدريب رجال شرطة أتهموا بالتعذيب وممارسة الإرهاب ضد المواطنين في دول اميركا اللاتينية .

ويقول "مونبيوت" في مقالة بالصحيفة البريطانية في عددها الصادر الثلاثاء 10/30/ 2001 : أنه يوجد في مدينة فورت بينيج بولاية جورجيا معهد لتدريب الإرهابيين يطلق عليه ويستر هميسفير للتعاون الأمني وتموله حكومة الرئيس جورج بوش مشيراً إلى أن عدد ضحايا هذا المعهد يفوق قتلى 11 سبتمبر وتفجير السفارتين الاميركيتين في إفريقيا وكل الفظائع الأخرى التي ألقت الولايات المتحدة مسؤوليتها على بن لادن وتنظيم القاعدة بحق!

ويضيف "مونبيوت" : إن هذا المعهد الذي كان يطلق عليه "مدرسة الاميركيين soa" حتى عام الماضي 2000 قام بتدريب أكثر من 60 ألف جندي وشرطي من اميركا الجنوبية متهمين بالقيام بأعمال تعذيب وإرهاب وذلك منذ 1946.

وأشار إلى أنه من بين هؤلاء الخريجين الكولونيل "بيرون ليما استرداد" المتهم بقتل الأسقف "جوان جيرادي" في جواتيمالا لأنه كتب تقريراً حول المذابح التي ارتكبتها المخابرات العسكرية

برئاسة "استرادا" بمساعدة اثنين من خريجي " مدرسة الاميركيين" والتي راح ضحيتها مئات الآلاف من الأبرياء .

وفي عام 1993 أعلنت الأمم المتحدة أسماء ضباط الجيش الذين ارتكبوا أكثر مذابح الحرب الأهلية فظاعة في سلفادور مشيرةً إلى أن ثلثي هؤلاء الضباط تدربوا في مدرسة soa" " .

الإرهاب في التاريخ الصهيوني : (نشرة عن الإرهاب الصهيوني)

يعتبر الإرهاب ركيزة من ركائز الفكر الصهيوني واحد مقومات الايدلوجية الصهيونية فمنذ بدأت أفواج المهاجرين اليهود بالزحف إلى فلسطين بدأ الصهاينة بممارسة الإرهاب بشكل منظم ومدروس فمارسوا القتل والتدمير ضد الشعب الفلسطيني لطرده من دياره واحلال المهاجرين اليهود مكانه.

وقد مارس اليهود الإرهاب من خلال منظمات إرهابية ك"الهاجانا" و "شتيرن" و"الارغون" وغيرها ثم مارسه الصهاينة بعد قيام اسرائيل كدولة من خلال أجهزة مخابرات الصهيونية المختلفة ك"الموساد" و "الشين بيت" وغيرهما بالإضافة إلى استمرار عمل المنظمات الصهيونية المتطرفة والمستوطنين فالصهاينة يجدون في جميع صنوف الإرهاب عملاً مشروعا لتحقيق أهدافهم في حين يعتبرون مقاومة الشعب الفلسطيني لهم والتي أقرتها كل الشرائع والمواثيق الدولية إرهابا يجب محاربته والقضاء عليه.

بعض عناوين الإرهاب الصهيوني :

- ارتكاب المجازر كمجزرة مسجد الخليل وقانا.
- هدم المنازل وتشريد أهلها.
- بناء المستوطنات.
- تغيير الهوية العربية والإسلامية لفلسطين.
- تهويد المقدسات الإسلامية والمسيحية .
- التحضير لهدم الأقصى وبناء هيكل سليمان.
- نهب المياه العربية .
- استكمال الترسانة النووية.
- التمرد على الاتفاقات الدولية كاتفاقية حظر التجارب النووية.

- التحكم بمصائر الدول والشعوب من خلال لعبة الدولار.
- التعرض للانبياء : صورة الرسول ﷺ صورة مريم العذراء.
- التعرض للقران الكريم واختلاق سور ليست منه.
-

حضارتنا وحضارتهم : (مقابلة الأسمر)+ (حضارة الإسلام)

زعم برلسكوني أن الحضارة الغربية أرقى من حضارة الإسلام على ماذا بنى برايكم هذا الزعم ؟

أترك أولا للمؤرخ المشهور "جوستاف لوبون" الذي وضع كتابا عنوانه "حضارة العرب" يقول فيه (كان تأثير العرب على الغرب عظيماً وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل من نفوذهم في الشرق) ويقول: (لقد تمتعت إسبانيا بحضارة سامية بفضل العرب بينما كانت بقية أوربا غارقة في ظلام وتأخر . ولو سار الغرب تحت راية العرب لتسامت منزلته، ورقت أخلاق أهله، ولما وقعوا في الحروب الدينية والمصائب التي أغرقت أوربا بالدماء عدة قرون).

اما عن الخصائص الحضارية التي يتمتع بها الإسلام فأختصرها بالتالي :

المساواة الإنسانية : والتي تتجلى في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾{الحجرات:13}، كما من خلال قوله ﷺ: ((الخلق كلهم عيال الله أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))، وقوله: ((الناس سواسية كأسنان المشط الواحد)) وبهذا يدرك الناس بأنهم إخوة لا تمايز بينهم إلا بمقدار ما يقدمونه ويبذلونه من خير.**المساواة الاجتماعية والاقتصادية** : والتي تتجلى في مقولة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حين رأى في الطريق يهودياً يتكفف الناس فقال: (والله ما أنصفناك إذ أخذنا منك الجزية وأنت شاب وتركناك وأنت شيخ) وأمر له براتب من بيت مال المسلمين.

المساواة الطائفية: والتي لا نظير لها في عصرنا الحاضر، حيث تتزايد وتتفاقم الحروب الطائفية والمذهبية والدينية على نحو ما جرى ويجري في البوسنة والهرسك والشيشان وكوسوفا والهند وكشمير وايرلند وغيرها .

أما الإسلام، فقد استوعب كل الانتماءات الطائفية بسماحته وعدالته حين أعلن ابتداءً أنه ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾{البقرة:256}، ولقد حسم رسول الله ﷺ كل الجدل في هذه القضية حين قال: ((من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)) (للطبراني في الاوسط)، وقوله: ((من قتل معاهداً لم يرح . يشم . رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما)) (للبخاري وأحمد)، وقوله: ((لهم ما لنا وعليهم ما علينا))، وجاء في كتاب "مراتب الإجماع" لابن حزام قوله : (إن من كان في

الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب أن نخرج لقتالهم بالراع والسلاح ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله وذمة رسوله ﷺ كتاب "الفروق" ج 3 ص 14و 15.

المساواة العنصرية: التي لا تعرفها الولايات المتحدة الامريكية ووقفت ضدها في المؤتمر الأخير الذي عقد لمحاربتها ولقد توج رسول الله ﷺ جبين البشرية وتاريخ الإسلام بتاج مضيء لاينطفئ من خلال خطبة الوداع حيث قال: ((يا أيها الناس ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت))؟ قالوا بلغ رسول الله ﷺ، قال: ((فليبلغ الشاهد الغائب)) (للبخاري).

المساواة الحقوقية والقضائية: والتي تتجلى من خلال ما قال رسول الله ﷺ" لأحب الناس إليه وقد جاء يطلب الشفاعة . أي يتوسط . لامرأة من بني مخزوم سرقت، واستحقت أن يقام عليها الحد، قال الرسول ﷺ: ((إنما هلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيها الشريف . الوجيه والزعيم . تركوه، وإذا سرق فيهم الفقير أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)).

الحرية بكل أشكالها : سواء كانت حرية اعتقاد أو حرية تعبير فقد حفظ الإسلام وصان الطوائف الأخرى وكنائسها ومؤسساتها ولم يعرف الإسلام حادث هدم لواحدة منها كما شهدته الأندلس من هدم أو تحويل للمساجد إلى المتاحف وكما حصل وتفاقم حصوله في معظم البلاد الشيوعية؟

أما حرية التعبير فهي من المقدسات في الإسلام، ففي قوله ﷺ: ((الساكت عن الحق شيطان أخرس)) وفي قول أبي بكر الصديق حين تولى الخلافة (أطيعوني ماأطعت الله ورسوله فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم) وقوله (لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها) ما يؤكد حق ممارسة الحرية كاملة وتحت مظلة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا)

الرأفة والرحمة : والتي هي مقصد البعثة النبوية والرسالة المحمدية كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ {الأنبياء:107}.

ولقد حفلت كتب الأحاديث بما يؤكد سبْق الإسلام في مجال الرفق والرحمة من ذلك قوله ﷺ: ((إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) (ابو داود) وقوله: ((إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه ومانزع من شئ إلا شانه)) (أبو داود).

الأخلاق الحربية: والتي تتجلى قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ**

الْمُقْسِطِينَ﴾{المتحنة:8}، وقوله: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ {البقرة:190}، وكما تتجلى وصية الخليفة أبي بكر الصديق لجيوش المسلمين (لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

أخيراً لايسعني إلا أن أسأل من هو الإرهابي حقاً؟

- أهو محمد الدرة، المقتول في حضن أبيه أم القناص الذي أطلق عليه الرصاص ظلماً وعدواناً ولغير ذنب ارتكبه؟ .
- أهي الاستشهادية/ الطالبة في مدرسة النجاح التي ذُبح أفراد عائلتها جميعاً أم الذين ارتكبوا هذه المجزرة البشعة بحق ذويها؟.
- أهو الاستشهادي الذي نُسف بيته وأصبحت أمه وأبوه وشقيقاته بلا مأوى أم من فعل هذه الفعلة النكراء بهم؟.
- أهم أطفال الانتفاضة الذين يرمون جنود الاحتلال والإجرام بالحجارة كأبسط تعبير عن حالة الرفض والإنكار لهذا الظلم أم من يواجهون طفولتهم وحجارتهم بالرصاص والمدافع الرشاشة من الأرض والجو؟.
- هل الإرهابي هو تلك النعجة الذبيحة أن تململت وانتفضت قبل أن تسلم الروح، أم الجزار ؟

إن العقل لايحتاج إلى كبير عناء للتمييز بين الظالم والمظلوم وبين المعتدي والمعتدى عليه، ﴿.. **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ {الحج:46}، وهذا هو حجر الزاوية في مأساة البشرية، أنها أصبحت بلا عقل ولا إحساس ولا ضمير؟؟

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

العمليات الإستشهادية بين المؤيدين والمعترضين

تردد في السنوات الأخيرة ولا يزال في إطار الصراع مع العدو الصهيوني ما يعرف بالعمليات الاستشهادية، بعد غيبة من الأمة طويلة عن هذه المعاني الجهادية الكريمة، مما أذلها وأغرى بها عدوها، حيث تحقق فيها القول المأثور : ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ذلوا، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء.

ولقد كثر الكلام من قبل العديد من العلماء حول مشروعية العمليات الاستشهادية ومدى حرمتها أو جوازها، حتى أن بعض المهزومين نفسيا، تجرأ واعتبرها "قرين الانتحار" بل هي عنده الانتحار نفسه؟

وفي المقابل نشطت حركة الاجتهاد في هذه القضية لترد على علماء اللسان وخطباء السلاطين هؤلاء، وتدحض حججهم وتفند مزاعمهم وتؤكد أن الاستشهاديين هم أكرم الخلق عند الله وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾{الأحزاب:23} .

وفي هذه المحاضرة، سأتناول . بعون الله تعالى . الموضوع مفنداً الأدلة التي اعتمدها كل فريق، مؤكداً مشروعية العمليات الاستشهادية، بل وجوب اعتمادها ودعمها وتشجيعها؛ لأنها السلاح الوحيد القادر بعون الله على تدمير هذا الكيان السرطاني، وإزالة الدولة العبرية من الوجود، وتحقيق الموعود الرباني الذي أكده رسول الله ﷺ بقوله: ((لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلوهم، فيختبئ اليهودي وراء كل شجر وحجر، فيقول الشجر والحجر : يامسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود)).

ما معنى الاستشهاد :

الاستشهاد :هو طلب الشهادة في سبيل الله، والتصميم عليه، وصولاً إلى بلوغه وتحقيق المقصدين الأساسيين منه :

1 - الفوز برضاء الله تعالى وجنته.

2 - إيقاع المستطاع الأكبر من الأذى في العدو نفسياً وحسياً وترجمة استشهاد اليوم يمكن أن تتحقق من خلال اقتحام مواقع للعدو وتفجيره جسدياً أو آليا دون مظنّةٍ للنجاة، عدا تقدير العزيز العليم.

فهو إقبال على الشهادة بكل تصميم وإصرار وفرح بلقاء الله تعالى، ومن أحب لقاء الله تعالى أحب لقاءه، ومن أحب الله لقاءه أعتق رقبته وأدخله جنته.

الاستشهاد عكس الإنتحار :

ليس بين الاستشهاد في سبيل الله وبين الإنتحار الذي هو قتل النفس التي حرم الله بغير الحق. أدنى صلةٍ أو علاقة، والحكم الشرعي في كليهما كالحكم الشرعي بين الحلال والحرام، ومصير من يأتيهما كمصير الجنة والنار؟

الإنتحار هروب من الحياة بسبب ظروف الحياة وكفران بما عند الله ومخالفة صريحة لأمره ... أما الاستشهاد، فهو تضحية بالنفس في سبيل الله واستعلاء على الدنيا وزهد فيها طمعا في الاخرة وبما عند الله ﴿**فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ {الشُورى:36}.

والانتحار جبن ويأس من رَوْح الله ﴿**.. وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ**﴾ {يوسف:87}، وهو اعتراض على قضاء الله وقدره، وتحدٍ لإرادته ومشيئته... أما الاستشهاد فهو ذروة الاستجابة لأمر الله تعالى في مجاهدة أعدائه وقهر أولياء الشيطان، مصداقاً لقوله:﴿**..فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾ {النساء:76}، وقوله: ﴿**..فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾{التوبة:12}، وقوله: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ**﴾{التوبة:29}، و قوله: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ**﴾ {التوبة:14}.

أما إذا قيل بأن العمليات الاستشهادية ضرب من الإرهاب، فهذا صحيح إنما هو الإرهاب الذي حض عليه الإسلام وأشار إليه تعالى بقوله: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾{الأنفال:60}.

إن من قبيل التعامل بالمثل على الأقل أن يواجه الإرهاب الصهيوني . وهو الإرهاب الضارب في عمق التاريخ وعلى امتداده . بما يماثله ويردعه امتثالا لقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ..**﴾{البقرة:194}، وقوله: ﴿**..وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ..**﴾{البقرة:190}.

أدلة المعترضين :

كنت لا اود ان اتوقف عند أدلة المعترضين على العمليات الاستشهادية؛ لأنها لم تعد ذات شأن أمام إجماع العلماء العاملين والدعاة المجاهدين والفقهاء المخلصين قديما وحديثا، إنما أمانة البحث العلمي ليس إلا ....

والمعترضون هؤلاء ليسوا سواء...

فمنهم علماء نحسبهم صادقين، تناولوا العملية الاستشهادية بسطحية وسذاجة وبعيداً عن أبعاد التأمر الصهيوني ومقاصده ومخاطره، وهؤلاء نسأل الله لهم الشفاء العاجل والتوبة النصوحة مما اجترحته أقلامهم، وإن فعلوا ذلك جهلا؟

ومنهم مقلدون يرددون كالببغاوات أقوال أولئك دون أن يكون لديهم أدنى نصيب من العلوم الشرعية التي تخولهم النظر في أمثال هذه الموضوعات، ولهؤلاء منا الدعاء بالهدى والرشاد، والالتحاق بركب المجاهدين من العلماء لا القاعدين منهم والمقعدين، ولأمثالهم نهدي بضع أبيات من القصيدة التي نظمها العالم المجاهد عبدالله بن المبارك . وهو يخوض غمرات الجهاد في سبيل الله . ويعث بها لمن استكان وقعد وانقطع بالعبادة عند الكعبة، جاء فيها:

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا

لوجدت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه

فنحورنا بدمائنا تتخضب

ويبقى من المعترض صنف المرجفين المشككين الذين يظاهرون اليهود بمواقفه تلك على أمتهم، فهؤلاء الذين باعوا دينهم بعرض زائل، وارتضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وهم لا يستحقون الحوار والنقاش بل إننا لا نحسبهم منا؛ إذ ارتضوا أن يكونوا مع أعدائنا، المغضوب عليهم والملعونين أحفاد القردة والخنازير؟

والحقيقة أنني بصدد تفنيد مزاعم هؤلاء، لولا أن الآثار الباهرة التي خلفتها العمليات الاستشهادية على الكيان الصهيوني، وما أدت إليه الانتفاضة المباركة والمقاومة من إسقاط وهم وأسطورة الدولة العبرية التي لا تقهر، جعلني أعزف عن ذلك؛ لأن أدلة هؤلاء سقطت ميدانياً بالتالي؟

في شروط المجيزين للعمليات الاستشهادية :

هناك مجموعة من الشروط توقف عندها بعض العلماء الذين أجازوا العمليات الاستشهادية نقتطف منها التالي:

- وجوب الهروب والنجاة بعد التفجير إن قدر على ذلك.
- ضمان تحقيق النكاية بالعدو وإنزال الخسارة به.
- إشتراط وجود خلافة وقيادة إسلامية للجيش وموافقتها على ذلك.
- في حال ضمان عدم تترس العدو بالمسلمين وبخاصة نسائهم وعجائزهم وأطفالهم.
- تحقق مصلحة حقيقية يقينية للمسلمين فإن علم خلاف ذلك لا يجوز.
- عدم وجود بديل آخر لقهر العدو والتغلب عليه.
- أن يكون قصد الاستشهادي إعلاء كلمة الله والموت في سبيله وإعزاز دينه.
- أن يكون تقدير المصالح الناجمة عن العمليات الاستشهادية للجماعة وليس للفرد.

في الأدلة المجمع عليها من المجيزين :

كثيرة هي الأدلة الشرعية التي تجيز وتحض وتبارك العملية الاستشهادية والتي يصعب إحصاؤها ... لذلك سأكتفي هنا بإيراد بعضها:

1 - قول محمد بن الحسن الشيباني: " لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده، لم يكن ذلك بأس، إذا كان يطمع نجاة أو نكايةً العدو (تفسير القرطبي 264/2).

2 - قول ابن العربي في الاقتحام على العسكر: (لابأس إن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وكان لله بنية خالصة وذلك بيِّنٌ في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ**﴾ {البقرة:207}.

3 - قول العز بن عبد السلام: (التغرير في النفوس إنما جاز لما فيه من مصلحة إعزاز الدين في النكاية في المشركين فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام) (قواعد الاحكام).

4 - قول شيخ الإسلام ابن تيمية (ولهذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة المسلمين) (مجموع الفتاوى 28. 540).

5 - قول السيوطي: (لا بأس بالانهزام إذا أتى المسلم من العدو مالا يطيقه ولا بأس بالصبر أيضا بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه إلقاء بالنفس إلى التهلكة بل في هذا تحقيق بذل النفس في سبيل الله تعالى فقد فعله غير واحد من الصحابة) (شرح السير الكبير(1 -125)

6 - وقال ابن عابدين: (لا بأس أن يحمل الرجل وحده وإن ظن أنه يقتل إذا كان يصنع شيئا بقتل أو بجرح أو بهزم) (حاشية ابن عابدين 202/4).

بعض آثار العمليات الاستشهادية :

إن الآثار التي أحدثتها العمليات الاستشهادية أكبر من أن تحصى من ذلك:

- إسقاط أسطورة الدولة العبرية التي لاتقهر.
- ضرب استقرار وأمن الكيان الصهيوني.
- إرباك المشروع الصهيوني جملة وتفصيلا.
- سقوط العديد من القتلى والجرحى في صفوف العدو ضباطاً وجنوداً ومدنيين.
- تزايد أعداد الفارين والهاربين والمهاجرين اليهود من الأرض المحتلة مما دفع بالسلطات الإسرائيلية إلى حجز جوازات سفر كإجراء قمعي لوقف تدفق المغادرين.
- ضرب الاقتصاد الإسرائيلي وتعطيل حركة السياحة .
- انسحاب القوات الإسرائيلية من الجنوب اللبناني.
- اسقاط الحلول الإستسلامية والإتفاقات الخيانية.
- بعث الروح الجهادية لدى المسلمين وإحياء الأمل لديهم بالنصر.
- طرح الإسلام عقيدة وشريعة ومنهجاً كخيار حتمي لإخراج الأمة من الواقع المهين الذي تعيش فيه.

نماذج لعمليات استشهادية عبر التاريخ الإسلامي :

نكتفي تحت هذا العنوان باستعراض نماذج لعمليات استشهادية متفرقة من التاريخ الإسلامي:

- حادث عمير بن الحمام الأنصاري يوم بدر.
- حادث عوف بن الحارث يوم بدر.
- بيعة الموت.
- طارق بن زياد وإحراق السفن حتى لا تحدث أحدا نفسه بالعودة والفرار .
- في معركة اليرموك: إقترب رجل من أبي عبيدة بن الجراح ﷺ وقال (إني عزمت على الشهادة فهل من حاجة أبلغها إلى رسول الله ﷺ حين ألقاه؟ قال نعم قل له: (يارسول الله أنّا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) واندفع الرجل يقاتل بشدة حتى وقع شهيداً.

كلمة أخيرة:

وأخيراً إن واقع المسلمين اليوم وعلى امتداد العالم يواجه أعتى التحديات وبخاصة من قبل الصهيونية العالمية والنظام الدولي... إن هذا الواقع الذي أنجب من رحم الإسلام ظاهرة الانتفاضة المباركة والمقاومة الإسلامية الظافرة بسلاح العقيدة والإيمان والشهادة الذي لايهزم ليؤكد من جديد أن الإسلام هو الحل كما يؤكد حتمية هذا الحل ليس لقضية فلسطين بحسب بل لكل قضايا الأمة ومشاكلها المختلفة.

إن عملية استشهادية واحدة باتت تهز الكيان الصهيوني وإن سلاح الشهادة أسقط أسطورة الدولة العبرية التي لاتقهر وعطل السلاح النووي الذي تملكه اسرائيل لكونها عاجزة عن استخدامه.

فما أحوج أمة بحكامها وأنظمتها ومؤسساتها وشعوبها لإدراك ذلك وللعمل على استئناف الحياة الإسلامية في كل مجالات الحياة إستجابة للنداء القرآني الخالد ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾{الأنفال:24}، صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

قراءة حركية في القواعد الفقهية الخاصة برفع الحرج

الحركة التي تنتسب إلى الإسلام يجب أن تكون خاضعة لأحكامه وقواعده الشرعية والفقهية وتستفتيه في مواقفها وسياساتها ومناهجها ومقرراتها وفي كل خطواتها.

إن خضوع الحركة الإسلامية لشرع الله من البديهيات النظرية والحتميات الحركية... وخضوعها لشرع الله يجب أن يكون موضوعيا وحقيقياً وليس وهمياً أو ظاهريا.

إنه لا بد أن تُعرض قضايا الحركة على كتاب الله فإن لم يكن فعلى سنة رسول الله، فإن لم يكن وجب عليها الاجتهاد في ضوء القرآن والسنة، وفي ضوء القواعد الشرعية والفقهية المعتبرة... إن الإخفاقات التي منيت بها الساحة الإسلامية ولا تزال تمنى، والمشكلات التي عانت منها ولا تزال تعاني والمآسي بل الكوارث التي طالت الساحة ولا تزال تطالها، مردها في الأساس إلى حالة الانفصام بين الحركة وبين شرعية مواقفها وسياساتها وقراراتها وعدم خضوعها بالنتيجة لمنطوق الشرع قيادة وجنوداً ومؤسسات.

هذه الدراسة:

وتحت هذا العنوان الذي اخترته كأنموذج للتطبيقات الفقهية على الواقع الحركي أو لبناء الواقع الحركي، أو لبناء الواقع الحركي على القواعد الفقهية، سأحاول قراءة عدد من القواعد المتصلة برفع الحرج قراءة حركية، وكخطوة للتأصيل الحركي وفق القواعد المعتبرة... والله المستعان.

ما المقصود برفع الحرج:

لم يأت الإسلام للتضييق على الناس والتعسير عليهم أو لإعناتهم وإ شقائهم، وإنما جاء لعكس هذا المقصود؛ فمن الأدلة القرآنية قوله تعالى:﴿..مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ..﴾ {المائدة:6}، وقوله: ﴿..وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾{الحج:78}، وقوله: ﴿..يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ..﴾ {البقرة:185}، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾{النساء:28}.

ومن الأدلة النبوية قوله ﷺ: ((إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً)) (البخاري)، وقوله: ((إنما أنا رحمة مهداة)) (الحاكم) وقوله:((إن الدين يسر)) (البخاري)، وقوله : ((إنما بعثني الله مبلغاً ولم يبعثني متعنتا))(الترمذي)، وقوله: ((يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)) (البخاري).

وبالرغم من كل هذه الأدلة القرآنية والنبوية التي تقطع بيسر منهج الله، فإن الكثير من الإسلاميين والحركات الإسلامية يُضيقون ما وَسعه الله أو يعسرون ما يسره الله، يُشقُون أنفسهم

ومن معهم، بل يتسببون بشقاء المسلمين، ويهلكون الحرث والنسل، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : ((ألا هلك المتنطعون)) (سنن ابي داود).

إن ما يمارس من إرهاب بإسم الإسلام في العديد من الأقطار الإسلامية مرده اعتماد الخيارات الصعبة والمستحيلة، والتي تنتهي بوقوع الكوارث والفتن .

ومايجري من انشقاقات وسط الساحة الإسلامية . كالجماعة الإسلامية التي انشقت عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ (في الجزائر) مرده إستعجال قطاف الثمار، وإحراق المراحل والقفز في المجهول، وتغليب لغة المخالب والأظافر والعضلات على لغة العقل والمنطق، والخروج على السنن الإلهية وعدم الأخذ بنظرية السببية.

وما تُمنى به الساحة الإسلامية من خسائر فادحة على صعيد الطاقات البشرية التي لا تفتأ تتساقط على الطريق مرده سياسة البتر والقمع والفصل والإقصاء المعتمدة في نطاق التعامل مع المنتقدين والمعارضين الذين يرون من واجبهم القيام بالنصح والتسديد وعملا بقاعدة : ((لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها)).

هذا وغيره مما يطفو على ساحة العمل الإسلامي من ظواهر قاتلة ومدمرة، مرده في كثير من الأحيان إلى مخالفة طبيعة الإسلام التي لا تتفق بحال مع منطق العنت والحرج مع من هم خارج الصف، فكيف بداخله ؟

قواعد فقهية لرفع الحرج:

1 - القاعدة الأولى: المشقة تجلب التيسير:

وهي مبنية على قوله تعالى: ﴿..يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ..﴾ {البقرة:185}.

ويستفاد من هذه القاعدة أن على الجماعة المسلمة حيال الظروف الصعبة، ووقوع الفتن واهتزاز الصف وتآمر الأعداء، أن تعتمد سياسة التيسير لا التعسير، حتى لايجتمع عليها العنت من الداخل والخارج، فتضعف وتتصدع وتنهار!!

فقد تكون الحركة في مواجهة تصفية من قبل عدو خارجي أو جهات داخلية، حيث يتعرض أعضاؤها للملاحقة والاعتقال، والضغوط المختلفة. ومن الطبيعي حيال ذلك أن يضعف البعض فيما يقوى ويثبت البعض الآخر. وفي هذه الحالة لايكون من المصلحة في شيء اشتداد القيادة على الضعفاء، وتبْكيتَهُم، بل يحب التخفيف عنهم ومعالجتهم بما يطيقون تبعا للتخفيف الرباني في هذه الظروف والأحوال... ففي مكة حين اشتد الأذى على المسلمين لم يكن هناك فرصة أمام البعض إلا النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان للنجاة بالنفس، مصداقا لقوله تعالى:

﴿..إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ..﴾ {النحل:106}، والتي نزلت في أمثال "عمار بن ياسر" الذين لقوا عذابا شديدا من قبل "قريش" .

(أخرج أبو نعيم في الحلية 140/1) عن أبي عبيدة محمد بن عمار قال : (أخذ المشركون عماراً ﷺ فلم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك؟ قال شر يارسول الله ماتركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بالخير فقال رسول الله ((فكيف تجد قلبك؟)) قال أجد قلبي مطمئناً بالإيمان قال ((فإن عادوا فعد)) (وأخرج ابن سعد (3/ 177) عن "أبي عبيدة" نحوه. وأخرج أيضاً عن "محمد": أن النبي ﷺ لقي عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول: ((أخذك الكفار فغطوك في الماء؛ فقلت كذا وكذا، فإن عادوا فقل ذاك لهم)) وأخرج أيضاً (177/3) عن "عمرو بن ميمون" قال: أحرق المشركون "عمار بن ياسر" بالنار، قال : فكان رسول الله ﷺ يمر به ويمرّ يده على راسه فيقول: ((يانار كوني برداً وسلاماً على عمار، كما كنت على إبراهيم عليه السلام، تقتلك الفئة الباغية)).

إن النزول عند حكم الإسلام يجب أن يلحظ كل الأحكام في كل الظروف، كما يجب أن يلحظ هامش الرخص التي امْتن تعالى بها على عباده، وحتى لايكلفهم فوق ما يطيقون...

- ففي الدعاء القرآني جاء قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ {البقرة:286} .

- وفي التشريع القرآني: ﴿..فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ..﴾ {البقرة:173}، ومنه كذلك: ﴿..وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ..﴾ {الأنعام:119} .

- وفي القواعد الفقهية (الضرورات تبيح المحظورات...) وفق الشروط والضوابط التي حددت على هذه القاعدة: جميع رخص الشرع، وتخفيفاته، التي تتعلق بالاسباب التالية:

- السبب الأول : السفر.
- السبب الثاني : المرض.
- السبب الثالث: الإكراه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) (ابن ماجة وابن حيان والحاكم).

ومما يباح بالإكراه أمور منها:

الأول : التلفظ بكلمة الكفر، قال الله تعالى: ﴿..إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ..﴾{النحل:106}.

فيباح ولا يجب، بل الأفضل الامتناع مصابرة على الدين، واقتداءً بالسلف.

وقيل : الأفضل التلفظ صيانة لنفسه.

وقيل: إن كان ممن يتوقع منه النكاية في العدو، والقيام بأحكام الشرع فالأفضل التلفظ لمصلحة الدين الإسلامي وأمة الإسلام وإلا فالأفضل الإمتناع -وفي السنة النبوية: عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه))، قالت : قلت يا رسول الله وما عزائمه؟ قال: ((فرائضه))، (مسند الامام احمد).

2 - القاعدة الثانية : إذا ضاق الأمر اتّسع:

وهذه القاعدة مبنية على عموم الشواهد القرآنية النبوية الدالة على رفع الحرج والمؤكدة عليه.

وشرع الله حيال الظروف المختلفة التي يتعرض لها المسلم، ظروف الخوف والأمن، والعسر واليسر والضعف والقوة، واليأس والأمل، يتعامل خلالها مع الإنسان بما يستطيعه ومالا يستطيعه، بما يقوى عليه وبما لا يقوى عليه، وبما يكون في مقدور فريق وبما لايكون في مقدور آخر: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ {الملك:14}.

فالمنهج الإسلامي هو المنهج الخاتم وهو التشريع الذي لا تشريع بعده وهو المرجع والحكم في كل الظروف والأزمان والبلدان وهو المستفتى لدى الفرد والأسرة والجماعة والدولة والأمة... إن هذا المنهج يحوي آفاق السعة والإحاطة والشمول والعالمية ما يجعله قادراً على استيعاب حياة البشرية بكل ما يعرض لها من تفصيلات ومفردات على اختلاف طبائع الناس والمجتمعات والبيئات والظروف والأزمنة، فيكون بذلك دين الناس أجمعين ودستور كل العالمين... ويتجلى ذلك في بعد الخطاب القرآني الخالد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ {الأنبياء:107}، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ {سبأ:28}.

وقاعدة (إذا ضاق الأمر اتسع) كأنها تؤكد على أن السعة والاتساع هما الأصل، وأن الشدة والضيق هما الاستثناء، بكل ما يعنيه ذلك من تحريض نفسي على حب السعة، والأخذ بكل الأسباب المؤدية إليها.

- ففي التوجيه الرباني دعوة لأهل الضيق والمشقة أن يتلمسوا كل الحلول المخرجة من حال الضيق إلى حال السعة ولو من خلال تغيير المجتمع والمكان حيث جاء قوله تعالى: ﴿..**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا..**﴾{النساء:97} .
- وفي الخطاب القرآني حضٌ لأهل السعة على التوسعة على ضيقي الحال حيث جاء قوله تعالى: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ..**﴾{الطَّلاق:7} .
- وفي التربية النبوية دعوة لطبع الفرد والمجتمع بطابع السعة حيث يقول رسول الله ((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)) (فتح الباري).
- وفي الاشارة النبوية حيال الظروف الصعبة التي كانت تمر بالمسلمين لفتة إلى حال السعة والفرج التي يجب أن تدعو إليها وتبشر بها القيادة الإسلامية لتبعث الأمل في نفوس المسلمين ولتؤكد رجاءهم وثقتهم بالله تعالى.
- فيوم الهجرة، والمشركون يتربصون برسول الله وبالمسلمين الدوائر ويحرضون على قتله كل القبائل، ويرصدون الجوائز الثمينة لمن يأتي به حياً أو ميتاً... يخرج رسول الله من مكة متخفياً مع أبي بكر الصديق في اتجاه المدينة وفي الطريق يعثر عليهما "سراقة بن مالك" الطامع بالجائزة .

وهنا تقدم كتب السيرة القيادة الواثقة بنصر الله، الموقنة بمجيء اليسر بعد العسر، وحصول السعة بعد الضيق .

جاء في كتاب (السيرة النبوية دروس وعبر) للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله:

وفي وعد الرسول ﷺ لسراقة بسواري كسرى معجزة أخرى، فالإنسان الذي يبدو هاربا من وجه قومه لايؤمّل في فتح الفرس والاستيلاء على كنوز كسرى، إلا أن يكون نبيا مرسلا، ولقد تحقق وعد الرسول ﷺ له، وطالب "سراقة" "عمر بن الخطاب" بانفاذ وعد الرسول ﷺ له حين رأى سواري كسرى في الغنائم، فألبسهما عمر سراقة على ملأ من الصحابة، وقال: الحمد لله الذي سلب "كسرى" سواريه وألبسهما سراقة بن جعشم الأعرابي، هكذا تتوالى المعجزات واحدة بعد الأخرى ليزداد المؤمنون ويستيقن الذين أوتوا الكتاب من المترددين والجاحدين أنه رسولٌ من رب العالمين.

ويوم الخندق وقد زحفت كل أحزاب العرب واليهود، وأحاطت بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم، وجاء التصوير القرآني لهذا المشهد أبلغ تصوير، حيث قال تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا**﴾ {الأحزاب:10} .

وفي هذا الوقت العصيب وبينما كان المسلمون يعملون في حفر الخندق حول المدينة لإعاقة أي هجوم للعدو عليها، أبى رسول الله ﷺ إلا أن يشارك المسلمين ويسهم بنصيب في حفر الخندق فكان ما نقلته كتب السيرة:

جاء صحيح البخاري عن جابر قال: ((كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة (وعند النسائي: صخرة لاتأخذ منها المعاول) فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: ((أنا نازل))، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب، فعادت أي الكدية كثيبا أهيل أو أهيم .

وعند أحمد والنسائي، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ قال عوف: وأحسبه قال: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول فقال: بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: ((الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا))، ثم قال: ((بسم الله))، وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: ((الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا))، ثم قال: ((بسم الله))، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: ((الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)).

وهذا القول النبوي الكريم أثبتت الأحداث (فيما بعد) صدقه، فصار من أعلام النبوة التي لاتخطئ، فقد تم استيلاء المسلمين على كل الأماكن التي ذكر النبي ﷺ . عند تفتيت الصخرة في الخندق . أنه أعطي مفاتيحها (الشام واليمن وفارس بعاصمتها المدائن وقصرها الأبيض)، وتم فتح كل ذلك في عهد الخليفتين "أبي بكر وعمر".

وبالرغم من الهول وجو الرعب والفزع الذي يحيط المنطقة التي أصبحت كلها آذانا في انتظار وصول جيوش الأحزاب التي سبقتها سيول من التخويف والترويع لأهل المدينة، بالرغم من ذلك كله، فقد كان المسلمون يعملون في حفر الخندق بثقة واطمئنان، قدوتهم الكبرى في ذلك نبيهم العظيم ﷺ الذي (وهو بينهم يعمل) يتبسط معهم في الحديث، ويداعب ويمازح في روح حلوة حانية لا يقول صاحبها إلا حقاً.

القاعدة الثالثة: إذا اتسع الأمر ضاق:

وهذه القاعدة هي عكس القاعدة التي سبقتها أي "اذا ضاق الأمر اتسع" والمقصود بهذه القاعدة وضع ضوابط للاتساع فما زاد عن حده انقلب إلى ضده يقول الإمام الغزالي:

"كل ما تجاوز حده انعكس إلى ضده"

فإذا كانت الرخصة في القاعدة الأولى واجباً منعاً لوقوع الضيق والعنت فهي في القاعدة الثانية أوجب خوفاً من اعتماد الرخصة قاعدة وأصلا واعتبار العزيمة استثناء.

وفي رأيي والله أعلم أن إقدام "عمر بن الخطاب" ﷺ على وقف إعطاء نصيب المؤلفة قلوبهم من مال الزكاة يقع ضمن هذه الدائرة

فتأليف القلوب هي حالة استثنائية يمكن أن يلجأ إليها ولي الأمر عندما تكون الدولة ضعيفة ويخشى على ضعفاء النفوس من الزيغ والانحراف، أو أن يستفاد من المصرف لشد غير المسلمين إلى الإسلام أو ما شاكل ذلك.

ويوم وُلي عمر الخلافة كانت الدولة الإسلامية في حالة قوة، والجيوش الإسلامية تعبر أبواب المشرق والمغرب... ولم يعد هناك من مبرر للإنفاق على المؤلفة قلوبهم، كأجتهاد واقعي، ضمن قاعدة (لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان)، والله أعلم.

جاء في كتاب (ضوابط المصلحة) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي قوله:

المسألة الأولى: إلغاؤه لسهم المؤلفة قلوبه من الزكاة فقد توهم بعضهم أن ذلك منه معارض لقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾{التوبة:60} عطفا على الفقراء في قوله: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ..**﴾{التوبة:60}.

والواقع أن قضاءه هذا متفق مع منطوق الآية وروحها.

وبيان ذلك أن الله تعالى أناط حق الزكاة بثماني فئات من الناس منهم: الذين تتألف قلوبهم من الداخلين حديثا في الإسلام ومناط هذا الحق في كلام الله تعالى ليس ذوات الداخلين في الإسلام بأعينهم ولا مجرد دخولهم وإنما هو صفة استجلاب المسلمين لقلوبهم؛ إذ معنى ﴿**وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ : والذين تستجلبون قلوبهم بالألفة والمودة؛ فاستجلاب قلوبهم إذاً ليس حكماً ثابتا بالشرع، وإنما هو مناط لحكم علقه الله عليه، فكلما تحقق هذا المناط تحقق الحكم المتعلق به، وهو إعطاؤهم الزكاة، وكلما لم يجد المسلمون حاجة إلى التودد إليهم، فقد كان معلقا عليه، فوصف التألف للقلب، شأنه كوصف الفقر، والعمل على جمع الزكاة، والجهاد في سبيل الله، في أنها هي مناطات استحقاق الزكاة في تلك الأصناف لا أعيانهم المجردة .

ولقد كان اجتهاد عمر في هذا معلقاً بتحقيق المناط؛ فلقد رأى أن الإسلام وصل شأنه إلى القمة في القوة والمنعة، سواء من الناحية المعنوية المتعلقة بسطوع حجته وبرهانه، أو من الناحية المادية المتعلقة بكثرة أهله وسعة انتشاره، أفلا يزال مناط حق الوافدين جديداً إلى الإسلام، في الزكاة، متحققاً بعد؟ وهو كما قلنا حاجة التودد إليهم كي لايندوا عن الإسلام بعد أن دخلوا فيه.

ومعلوم ان الاجتهاد المتعلق بتحقيق مناط الحكم لا علاقة له بأمر النص، وإنما هو استجلاء لحقائق الأشياء وإدراكها على ما هي، لتعلق حكم شرعي بها؛ كاستجلاء حقيقة البلوغ في الصبي، وتعيين المثلي لضمان المتلف. ولذلك قال الشاطبي: (إن الاجتهاد في تحقيق المناط لايفتقر إلى العلم بمقاصد الشرع، كما أنه يفتقر فيه إلى معرفة علم العربية؛ لأن المقصود من هذا الاجتهاد العلم بالموضوع على ما هو عليه).

المسألة الثانية: عدم قطع يد السارق عام المجاعة مع أن الله تعالى يقول: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾{المائدة:38}، وفي ذلك حسب ما ظنه البعض، معارضة لنص الكتاب، ولابد أن عمر رجح المصلحة عليه.

والحقيقة أن آية: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾ ليست نصا بالمعنى المقابل للظاهر، بل هي عام قابل للتخصيص، فهي لا تستقل وحدها . قبل البحث عن المبينات والمخصصات . بالدلالة على حكم السرقة بالتفصيل الشامل لكل الجزئيات.

ولدى البحث نجد في السنة مخصصات أو مبينات كثيرة لهذه الآية، سواء من فعل الرسول ﷺ أو قوله، منها ما يتعلق بالقدر الذي ينبغي أن لايقل عنه المسروق، ومنها ما يتعلق بنوع المكان الذي ينبغي أن يُسرق منه ومنها ما يُشرط أن لا يكون في المال شبهة حق للسارق.

وإذاً، فإن التمسك بظاهر الآية وحدها دون النظر إلى ما يتعلق بها من مخصصات ومبينات في السنة الصحيحة إنما هو تنكب عن جملة الدليل كما قلنا.

وإنما يتعلق الغرض هنا من مخصصات الآية بالحديث الذي صح عن رسول الله ﷺ من رواية ابن عباس: ((إدرؤوا الحدود بالشبهات))، وفي لفظ آخر من رواية عائشة: ((ادرؤوا الحدود عن المسلمين مااستطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الامام لأن يخطئ في العفو خير من ان يخطئ بالعقوبة)) (الترمذي واحمد بن حنبل) فهذا الحديث مخصص لكل الآيات التي شرعت الحدود، ومنها حد السرقة.

ولم يخالف أحد الأئمة والمجتهدين في كل عصر، أن حد السرقة يسقط بوجود شبهة حق للسارق فيما سرق، ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في تحقيق المناط أي تحقيق السبب الذي علق عليه الشارع سقوط الحد، وهو كما ترى متعلق بالحديث الذي جاء مخصصاً للآية، وليس فيه أي معارضة لها.

يستفاد مما تقدم بأن أي ظاهرة اتساع في الأخذ بالرخص الشرعية يجب أن تُستدرك من قبل (ولي الأمر) بالعودة إلى الأصول والتزام الضوابط الشرعية في شتى مجالات الحياة، وإلا كانت النتيجة تحكُّم الأهواء واستشراء المفاسد، وتلمّس الفتاوى الشرعية لكل آفة من هذه الآفات.

والقيادة الإسلامية يجب أن تكون وقّافة عند حدود الشرع، تشتد وتلين بحسب ما يسمح به الدين الحنيف وفق الشروط والأحكام المعتمدة.

- فإذا كانت الحركة الإسلامية مضطرة في فترة من الفترات وحيال ظرف من الظروف، أن تخوض في العمل السياسي بلا ضوابط ولا حدود، وانعكس ذلك تراجعا في اهتماماتها التربوية والدعوية، وجب على قيادتها المبادرة إلى ضبط هذا الاتساع، والعودة بها إلى منطق التوازن، واعتماد سلم الأولويات.
- واذا كانت الحركة الإسلامية معذورة خلال حقبة زمنية معينة في عدم التشدد في شروط العضوية طمعاً في استقطاب مجموعة أكبر من الناس، وفي اعتماد النهج الجماهيري، وأدى هذا إلى اهتزاز في التزام القواعد بالحدود الشرعية والتنموية، وجب عليها وقف العمل بسياسة الاستقطاب الكمي والعكوف على الاستيعاب النوعي وفق قواعد المنهج الاصطفائي النخبوي، وقد يكون فهمنا للخطاب النبوي الذي ألقاه الرسول ﷺ بعد العودة من إحدى الغزوات ضمن الدائرة، حيث قال ﷺ: ((قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)) قالوا: ,وما الجهاد الأكبر يارسول الله ؟ قال: ((مجاهدة العبد هواه)) (تاريخ بغداد).

زرت بلداً إسلاميا كانت الحركة الإسلامية فيه متشددةً في قبول العضوية تشدداً أدى إلى انغلاقها على عدد محدود من النخب وأصحاب الكفاءات العلمية وفوجئت عندما أطلعني أمير الحركة على مشروع جديد للحركة يهدف إلى استقطاب خمسة ملاين عضو ومن غير شروط عضوية ابتداء وعلى أن يتم استيعابها وتأهيلهم لاحقا وفق مناهج ومراحل معدة لهذا الغرض.....

بادرت أمير الحركة سائلا: على أي أساس بنيتم مشروعكم هذا؟ قال: إن الفترة التكوينية للحركة كانت كافية لإعداد نخب قادرة على استقطاب واستيعاب الكم الجماهيري الذي نحن بصدده.

قلت: أظن أنه سيعقب مرحلة التمدد الأفقي مرحلة تركيز عمودي، وإن الحالة الجماهيرية التي تمر بها الحركة ستتبعها مرحلة اصطفائية وهكذا دواليك.

بعد الهجرة تشكلت في المجتمع المدني وما حوله حالة اتساع كبيرة، ولما لم تكن على المستوى المطلوب إلتزاما جاء البيان القرآني، موضحاً الصورة، مبيناً مواقع الخلل فيها، محدداً معالم الطريق السوي القويم، فقال تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا**

يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ۞إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ {الحجرات:15:14}.

أذكر أننا خصصنا الانتخابات النيابية للمرة الأولى في بلدنا، وفاز بعضوية المجلس النيابي عدد من الأخوة مما أدى إلى إقبال الكثير علينا، وهو أمر طبيعي أن يقبل الناس على القوي وصاحب السلطان مما فتح الباب على مصراعيه أمام الوافدين لنيل عضوية التنظيم، متجاوزين الأطر والقواعد المنصوص عليها، والمعمول بها في هذا الجانب، والنتيجة تضخم حجم القاعدة، وعدم قدرة القيادة على ضبطها، والتحكم في تصرفاتها وأعمالها، إضافة إلى بلوغ بعض هذه النماذج مواقع القرار في الحركة، مما انعكس مخاطر مخيفة على المسار والمصير...

إن اتساع ظاهرة التعددية على الساحة الإسلامية، والذي جعل في كل قرية ومدينة ودولة عشرات التنظيمات والأحزاب والحركات التي تدعي الانتماء إلى الإسلام، مما انعكس خلافات وصراعات بلغت حد الدموية في بعض المناطق والأحياء، لايجوز أن يواجه بالقول المكرّر والذي أصبح ممجوجا ومبتذلاً ومرْدوداً على أصحابه، أي اعتبار هذه الظواهر حالة صحية، وأنها من السنن الإلهية والمسلمات القرآنية: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ۞إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾{هود:119:118}، وأنها تعددية تنوع وما شاكل ذلك من كلام دغدغ النفوس وأشبع الرغبات والمصالح الفئوية، ولكنه ليس الموقف الشرعي بحال... وتبعا لقاعدة (إذا اتسع الأمر ضاق) وجب الحكم بابتذال هذه الظاهرة والدعوة إلى مواجهتها، من خلال وحدة الصف الإسلامي، وهو الأصل في الدين والذي أفاضت في الحض عليه العديد من الآيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {آل عمران:105}، وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ..﴾ {آل عمران:103}،

وقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾{الأنفال:46}، وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ {الأنبياء:92}.

القاعدة الرابعة: الضرر يزال:

وهذه القاعدة مبنية على مبدأ العدالة في الإسلام التي لا تقبل الإضرار والظلم في أي شكل من أشكاله وأي وجه من وجوهه، والمتوجه بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ {النحل:90}.

فالضرر حالة مرضية غير طبيعية لا يمكن أن يرضى بها الإسلام أو يسكت عنها، سواء وقعت على الفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الدولة، والخطاب النبوي المتمثل في قوله ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار)) (الحاكم والبيهقي)، يُعتبر الأساس المطلق لهذه القاعدة.

والضرر هو نتيجة من نتائج الظلم، والظلم شرعاً هو التعدي على الحق والميل إلى الباطل، وقيل: هو التعدي على حق الغير، ومجاوزة حق القانون الإلهي.

جاء في كتاب "الخطايا في الإسلام" تأليف عفيف طبارة قوله :

فالإنسان الذي يتعدى على مال الغير هو ظالم.

والحاكم الذي لا يساعد الناس على نيل حقوقهم هو ظالم.

والقاضي الذي يخرج في حكمه عن الحق فهو ظالم.

والشريك الذي يخون شريكه هو ظالم.

والزوج الذي يسيء معاملة زوجته وأولاده هو ظالم.

والزوجة التي لا تراعي حقوق زوجها وتهمل تربية أولادها هي ظالمة.

وبالإجمال كل عملٍ فيه انتقاص للحق وعدوان على الغير هو من الظلم.

وعلى هذا المفهوم أنزل الله الشرائع ـ التي فيها العدالة المطلقة ـ للقضاء على الظلم بين الناس، فعدم الأخذ بهذا وترك السير على مقتضاها هو غاية الظلم، وقد صرح بذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ {المائدة:45}، وقوله: ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ** الظَّالِمُونَ﴾ {البقرة:229}.

والظلم مرض اجتماعي يجب استئصاله حال ظهوره، وإلا كان خطره عاماً على الأمة، والقرآن نبهنا إلى هذه الحقيقة حين قال: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ**﴾ {الأنفال:25}.

والميل إلى الظالمين والرضا بأعمالهم ومشاركتهم في ميولهم يؤدي إلى عذاب النار: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾{هود:113}.

وشيوع الظلم في قوم يؤدي إلى وصول أشرار الناس إلى الحكم، فتذوق الأمة جمعاء الواناً من ظلمهم وسوء تصرفهم، قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ {الأنعام:129}.

والمجتمع الذي يسود فيه الظلم هو مجتمع يستحق اللعنة، ويستحق عقاب الله في الدنيا والآخرة بقوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ {الكهف:59}، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ {غافر:52}، وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ {إبراهيم:42}.

وقد ورد عن النبي ﷺ أقوال في التنديد بالظلم وبيان عاقبته الوخيمة، فقال فيما يرويه عن ربه: ((ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)) (رواه مسلم).

ويقوله النبي ﷺ: ((ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته)) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ {هود:102}، (رواه البخاري ومسلم).

وروي أن النبي ﷺ قال: ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)) (رواه البخاري).

ويقول النبي ﷺ أيضاً: ((أتدرون من المفلس؟)) قالوا: المفلس منا من لا درهم له ولا متاع، فقال: ((إن المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وياتي قد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)) (رواه مسلم).

وروي أن النبي ﷺ : قال لمعاذ لمّا بعثه إلى اليمن: ((اتق دعوة المظلوم فإنّ ليس بينها وبين الله حجاب)) (رواه البخاري ومسلم).

كما روى عن النبي ﷺ قوله: ((أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) فقال رجل: يارسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً فكيف أنصره؟ قال: ((تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصر)) (رواه البخاري).

ونختم كلامنا عن الظلم بهذين البيتين من الشعر لأحدهم:

لاتظلمن إذا ماكنت مقتدرا

فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه

يدعو عليك وعين الله لا تنام

ومما يؤكد موقف الشريعة الإسلامية الصارم من الظلم والضرر ما أفرد لذلك من أبواب الفقه لتجفيف منابعه وتعطيل أسبابه من ذلك :

الأول: الردّ بالعيب، لإزالة الضررّعن المشتري .

الثاني: جميع أنواع الخيار من اختلاف الوصف المشروط والتغرير وإفلاس المشتري.

الثالث: الحجر بأنواعه؛ لأنه شرع للمحافظة على مال غير القادرعلى التصرف السليم.

الرابع: الشفعة؛ لأنها شرعت للشريك، لدفع ضرر القسمة، وللجار، لدفع ضرر جار السوء.

الخامس : القصاص؛ لدفع الضرر عن أولياء القتيل.

السادس: الحدود ؛ لدفع الضرر عمن لحق بهم، وعن المجتمع.

السابع: الكفارات؛ لإزالة ضرر المصيبة.

الثامن: ضمان المتلف؛ لإزالة الضرر اللاحق بمن أُتلف له.

التاسع: القسمة؛ لرفع الضرر عن أحد الشريكين، أو كلاهما.

العاشر : نصب الأئمة والقضاء؛ لمنع الضرر عن الأمة الإسلامية، حيث بوجودهم تقام الحدود، وتمنع الجرائم، والفساد.

الحادي عشر: دفع الصائل؛ لإبعاد ضرره عن النفس.

الثاني عشر: قتال المشركين؛ لرفع ضرر فتنة المسلمين، ولإبعادهم عن طريق الدعوة الإسلامية لتصل إلى الناس، ولدفع ضرر اعتدائهم.

الثالث عشر : قتال البغاة؛ إبعاداً لضررهم عن المجتمع.

الرابع عشر: فسخ النكاح بالعيوب، أو الإعسار؛ لإزالة الضرر عن أحد الزوجين.

وجه تعلقها بقاعدة (رفع الحرج):

جاء الشرع الإسلامي، وتكفل بإزالة كل ضرر عن الناس، إذ يجعلهم هذا الضرر في ضيق يتنافى مع سماحة الدين الحنيف.

مسجد الضرار:

ولقد قطع الإسلام شوطاً بعيداً على طريق إزالة الضرر، واجتثاث جذوره، واستئصال شأفته، إلى درجة الإقدام على هدم مسجد كان يستخدم كمركز تآمر على الإسلام والمسلمين في عهد رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ۞لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا

لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ۞أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۞لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾{التوبة:107:108:109:110}.

وتتعاظم مسؤولية إزالة الضرر بقدر حجم الضرر المترتب عليه، فإذا كان حجم الضرر يطال مستقبل العمل الإسلامي، أو يهدد مصير الإسلام نفسه يصبح السكوت عنه والتستر عليه خيانة للدين وخروجا من الملة، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ((إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم ياظالم فقد تودع منها)) (رواه الحاكم).

والظلم قد يقع من حاكم على شعب، أو أمير على رعيته، أو قائد على جماعته... وقد يكون من عدو بين ظاهر، أو منافق متخف متستر، والأخير قد يكون أخطر وأدهى وأمر: وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ((المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن بحسده، ومنافق ببغضه، وعدو يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه)).

والإضرار والإيذاء . أي إيقاع الأذى والضرر قصداً . هو تعد ظالم وانتهاك فاحش لكرامة وحقوق الآخر، كائناً من كان هذا الآخر؟ وهو جريمة نكراء لاتسقط مسؤولية من اقترفها إلا بعفو وصفح من طالته الجريمة ووقع عليه الأذى والضرر، سواء كان مادياً معنوياً، والضرر المعنوي وزره أكبر وحسابه أعسر.

القاعدة الخامسة: الضرورات تبيح المحظورات

وهي مبنية على قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {المائدة:3}، وقوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ {البقرة:173}.

فإذا كان شرط الإباحة الضرورة، فإن الضرورات تقدر بقدرها زمانا ومكانا وموضوعاً.

وفي النطاق الحركي، وفي إطار العمل الإسلامي، وفي مجتمعات تعددية الانتماء، أو ضمن بيئات جاهلية لاتمت إلى دار الإسلام بصلة، يحسن الإستفادة من مثل هذه القواعد الفقهية الميسرة، خروجا من العنت، ودفعا للعديد من المفاسد، وتحقيقا للكثير من المصالح الإسلامية، وتوطينا للإسلام في الدول والمجتمعات غير الإسلامية، وعدم الاستفادة من ذلك من شأنه أن يضرب حصاراً حول الحركة الإسلامية، ويسد أمامها منافذ الوصول إلى مواقع الآخرين ومنابرهم وعقولهم ومؤسساتهم المختلفة.

ويجب أن لا يفهم من كل ذلك أن الأخذ بهذه الرخصة يعني الخروج عن المبادئ، أو الانطلاق بلا ضوابط، وإنما المقصود الاستفادة من هامش الرخصة ومساحة التيسير، حيال ما يواجه عملية العرض والطلب، أي حالتي (الدعوة والاستجابة) من صعاب ومشاق قد تكون أحيانا فوق طاقة الاحتمال.

والضرورات هذه قد تتعلق بالمسكن والمأكل والمشرب، وقد تتعلق بالزواج والتعليم والعمل، وقد تتصل بالتربية والدعوة والتجارة، لتطال كل جانب من جوانب الحياة.

وللحصول على ترخيص لمعهد في بلد أجنبي، قد يتطلب الأمر مراعاة القوانين والأعراف والمناهج والسياسات التعليمية المعتمدة.

وللحصول على رخصة لوسيلة إعلامية، قد يحتاج الأمر إلى التساهل في جانب من الجوانب ضمن المساحة الحرة والأنظمة المرعية.

ولبناء مسجد في مجتمع غير إسلامي، قد يتطلب الأمر الاستفادة من كل (التنزيلات والتسهيلات) الموجودة، وتجاوز كل العقبات والتعقيدات الموضوعة.

إن ما اعتمده رسول الله ﷺ من سياسة حكيمة بعيدة النظر خلال كتابته بنود صلح الحديبية مع المشركين، والتي أغضبت عدداً من الصحابة ودفعت البعض لأن يبدي اعتراضه على ذلك... مَثَل واضح على ذلك، جاء في كتاب "السيرة النبوية دروس وعبر" للدكتور مصطفى السباعي، رحمه الله، قوله:

(وأخيرا تم الصلح، على ما رغبت قريش، وعلى وضع الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنين، وأن من أتى من عند محمداً إلى مكة لم يردوه، وأن من أتى محمدا من مكة ردوه إليهم، فعزّ ذلك على المسلمين، وأخذ بعضهم يجادل النبي ﷺ فيما جاء من شروطها، ومن أشدّهم في ذلك عمر، حتى قال رسول الله: ((إني عبد الله ولن يضيعني))، ثم أمر الرسول الصحابة بالتحلل من العمرة، فلم يفعلوا ذلك في موجة الألم، لمّا حيل بينهم وبين دخول مكة، ولما شقّ عليهم من شروط الصلح. فبادر عليه الصلاة والسلام بنفسه، فتحلل من العمرة، فتبعه المسلمون جميعاً، وقد ظهرت فيما بعد فوائد هذه الشروط والتي صعبت على المسلمين ورضي بها الرسول، لبعد نظره، ورجحان عقله، وإمداد الوحي له بالسداد في الراي والعمل).

هذا وقد سمّى الله هذه الغزوة فتحاً مبيناً، حيث قال: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾ {الفتح:3:2:1}.

ثم تحدث عن مبايعة الرسول ﷺ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ {الفتح:10}، ورضي عن اصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة فقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ {الفتح:18}، وتحدث عن رؤيا الرسول ﷺ التي كانت سببا في غزوة الحديبية، فقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ {الفتح:27}، ولعل هذه إشارة إلى فتح مكة الذي كان ثمرة من ثمرات صلح الحديبية، ثم اتبع ذلك بتاكيد غلبة هذا الدين وانتصاره، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ {الفتح:28}.

القاعدة السادسة : ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها

هذه القاعدة تمثل ضابطاً شرعياً وسياجاً آمنا للقاعدة التي سبقتها، حتى يكون الأخذ بها ضمن شروط مقدرة وأسباب معتبرة، وحتى لايستمر الأخذ بها بعد زوال الأسباب التي أنتجتها وأجازتها.

فمن ضوابط هذه القاعدة أن مساحة الإباحة التي سمحت بها الضرورة يجب أن لا تتعدى مساحة الضرورة نفسها لأنها تفضي للوقوع في المحظور وتحليل ماحرم من غير مسوغ شرعي.

ومن ضوابطها كذلك أن ما أباحته الضرورة اليوم قد لا تبيحه غداً، لما يمكن أن يطرأ من متغيرات موضوعية يمكن أن تؤدي إلى تغيير في الحكم.

ومن هذه الضوابط أن ما أبيح لضرورة في موضوع؛ لا تُسحب إباحته على أي موضوع آخر كان قريبا وشبيها فلكلٍّ اعتباراته ومبرراته.

من هنا القاعدة كانت العامة لضوابط الضرورات واضحة الدلالة على ذلك، حيث يقول: (الضرورات تقدر بقدرها: زماناً ومكاناً وموضوعاً).

فتجميد العمل بحدّ السرقة عام المجاعة . مثلاً . من قبل الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ﷺ لا يعني الأخذ به حيال كل ضائقة معيشية في أيّ زمان ومكان ... وهكذا...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قراءة الإحداث في ضوء السنن الإلهية

الهجرة ... الإنتفاضة

السنن الإلهية وحتمية نفاذها:

لقد وضع الله تعالى للكون والإنسان والحياة سنناً لايمكن أن تستقيم الحياة بدونها، جاءت الإشارة إليها في أكثر من موقع قرآني منها قوله تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ۞وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۞إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ۞وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ {آل عمران:138:141}.

حضّ قرآني على قراءة مايجري من سنن:

والقرآن الكريم حض المسلمين على قراءة كل مايجري لهم ومايجري حولهم في ضوء السنن الإلهية.. فهم مطالبون بقراءة الأحداث والأحوال، والماضي والحاضر، والواقع والوقائع، في ضوء هذه السنن المقدّرة والمقرّرة: ﴿**سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا**﴾ {الأحزاب:62}، ﴿**.. فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا**﴾ {فاطر:43}.

واليوم المسلمون مطالبون، بين يدي الهجرة النبوية الشريفة، وظاهرة الانتفاضة، وحرب الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، وأحداث الحادي عشر من أيلول وعربدة الاستكبار العالمي، بنظرة ثاقبة وقراءة متأنية من خلال أبعاد قوله تعالى في هذه السنن: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ {آل عمران:137}، وهي دعوة خاصة على التحرك والبحث والتفتيش، ثم إعمال الفكر والنظر في عواقب المكذبين والظالمين.

السنن الالهية كثيرة وحسبنا في هذا المقام واحدة:

والسنن الإلهية كثيرة ومتنوعة، منها سنة التغيير، وسنة التمكين، وسنة التدافع، وسنة الفتنة والابتلاء، وسنة الله في هلاك الظالمين، واختلاف المختلفين، والترف والمترفين، وفي الإملاء والاستدراج، إلى غير ذلك من السنن التي تغطي مفاصل الحياة وقوانينها ونظمها ومجرياتها جميعاً.

وسأكتفي في هذه الدراسة المختصرة بقراءة أحداث الهجرة والانتفاضة من خلال سنة التدافع كعينة من العينات ليس إلّا...

سنة التدافع :

إن من وظائف سنة التدافع هذه، أنها تحفظ استمرار الخير حتى لاينتهي، وتبقى على شعلة النور حتى لاتنطفئ، وتحافظ على توازن الصلاح حتى لا يعم الفساد، وصدق الله تعالى حيث

يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ {البقرة:251}.

وسنّة التدافع هذه تقوم على أسباب ومسببات ولا تنشأ من فراغ... أحد هذه الأسباب وقوع الظلم والطغيان من فريق، وتحقّق الصبر والثبات والمقاومة والجهاد من فريق آخر: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ۞الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ {الحج:40:41}.

فمن نتائج استفحال الظلم هلاك الظالم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾{الكهف:59}، ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ {النور:55}.

ومن سياق الآية الكريمة تتضح وتتأكد حقيقة واحدة أساسية، وهي أن شرط التمكين و الاستخلاف تحقُّق كمال العبودية ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، كما أن شرط وراثة الأرض تحقق الصلاح والإصلاح ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ {الحج:41}.

قراءة في الهجرة النبوية :

ولو أردنا أن نقرأ أحداث الهجرة. مقدمتها ونتائجها. في ضوء السنن الإلهية لتبين لنا التالي :

أن أعداء الله من المشركين أمعنوا في اضطهاد المسلمين، وبالغوا في إيذائهم، فهم قتلوا سمية، وفقؤوا عين زنيرة، وعذبوا أم عبيس وبلالاً وآل ياسر عذاباً شديداً... وهم حاصروا المسلمين في شعب بني هاشم، ونالوا من رسول الله ﷺ حتى غادر إلى الطائف وهاجر من هاجر من المستضعفين إلى الحبشة وهكذا...

إن المسلمين ثبتوا وصبروا، ولم يساوموا أو يتنازلوا ويجبنوا، ورسول الله ﷺ يستنهض الواحد تلو الآخر وهو يقول: ((صبراً ال ياسر، فإن موعدكم الجنة)) ثم يبعث في نفوسهم القوة والعزيمة فيقول: ((إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الأرض حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين مايصرفه ذلك عن دينه ابداً)).

إن المسلمين نجحوا في (امتحان الهجرة) وهو الامتحان الأصعب، حيث ترْك الديار، ومغادرة البيوت، والتخلي عن الاموال والارزاق... فصهيب عاف ثروة عمره، وأبو سلمة حُرِم زوجته وولده، ورسول الله ﷺ يخاطب لدى رحيله مكة، فيقول بحزن: ((إنكِ أحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)).

ولقد كانت النتيجة بعد كل ذلك، نزول الأذن من الله بالجهاد والقتال، وبشارة المؤمنين بالنصر والغلبة والتمكين، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ۞الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ..﴾ {الحج:40:39} .

قراءة في الانتفاضة :

وإذا أردنا أن نقرأ أبعاد أحداث الانتفاضة في ضوء السنن الإلهية كذلك، لخرجنا بالتالي:

لقد أمعنت إسرائيل في ارتكاب مختلف أنواع المجازر والجرائم بما يفوق الخيال ويتجاوز العقول، وبما لا يحيطه حصر؟

وأراشيف وسائل الإعلام المختلفة تكفي للشهادة على هذا الإجرام الصهيوني المقزّز ؟

إن معظم الحكام العرب و المسلمين إلتزموا جانب الصمت، وأمعنوا في السكوت حيال هذه المجازر اليومية التي يرتكبها العدو الصهيوني بحق شعبهم الفلسطيني، فكانوا ممن عناهم قول رسول الله ﷺ: ((إذا رأيت أمتي تهاب أن لا تقول للظالم: ياظالم، فقد تودع منها)) (رواه الحاكم).

والنتيجة تفجر الانتفاضة كقدر رباني من شأنه أن يضع حد للظلم والطغيان الذي يمارسه الصهاينة في فلسطين أرضا وشعبا ومقدسات بالرغم من فداحة المصاب في الأرواح والأموال والممتلكات، حيث أنه الثمن الذي لابد من دفعه وسداده بين يدي النصر وسقوط الأسطورة: ﴿..وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الرُّوم:47} .

أما ما آل الكيان الصهيوني ومصيره المحتوم فإنه إلى زوال ودوال: تِبعا لنفاذ أمر الله تعالى وسنته الإلهية التي لا تحيد: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا۞فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ {الطَّلاق:9:8} .

أما مؤشرات ودلائل هذا المصير، فهي كثيرة ومتكاثرة أذكر منها مايلي :

- تفاقم حالة الرعب والهلع بين اليهود وسقوط مقولة الأمن الوقائي بعد سقوط أسطورة الدولة التي لا تقهر؟
- تعاظم رغبة اليهود في الهجرة من فلسطين إلى الخارج هربا بأنفسهم وأموالهم؟
- إنهيار الوضع الاقتصادي؟
- هروب المستوطنين من مواقعهم المحصنة إلى داخل المدن المحتلة؟
- إتساع حالة العصيان والتمرد في جيش العدو ضباطا وجنودا؟

إن كل ذلك يذكر بحتمية نفاذ الوعد الرباني، القاضي بانتصار المسلمين وانهزام اليهود، والذي يؤكده قوله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلونهم، فيختبئ اليهودي وراء كل شجر وحجر إلا شجر الغرقد لأنه من شجر يهود فيقول الشجر والحجر: يامسلم يا عبد الله تعالَ ورائي يهودي فاقتله)).

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤشرات الهدى والسداد

في الجماعة المسلمة

كثيرة هي الجماعات الإسلامية التي تعمل للإسلام على امتداد العالم... وكل جماعة من هذه الجماعات تَعْتبر نفسها الأفضل والأهدى والأمثل، وأنها الأحق والأجدر بالبيعة التي تنعقد عادة لجماعة المسلمين .

وحيال هذا الخليط المتنافر من المزاعم والادعاءات، التي باتت تشكل حالة من الاشمئزاز والتقزز لدى السواد الأعظم من المسلمين، فضلاً عن إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام لغير المسلمين، كان لابد من مبادرة جادة يقوم بها العلماء الثقاة والدعاة العاملون، يرسمون من خلالها صورة قياسية للجماعة المسلمة، وللمؤشرات الشرعية التي تؤكد استقامتها وسلامتها، حتى لا يلتبس الحق بالباطل، وحتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وبين يدي هذه القضية أود أن أشير إلى عدد من المؤشرات التي تقطع بصلاح وسداد الجماعة المسلمة، من ذلك.

- التزامها بشرع الله ونزولها عند حكمه في عسرها ويسرها ومختلف أحوالها، وتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، استجابة للوصية النبوية الماثلة في قوله ﷺ: ((تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي))، وهذا الالتزام يجب أن يظهر في سلوك الجماعة قيادة وأفرادا... في حياتهم العائلية، وعلاقاتهم الاجتماعية، وحركتهم اليومية، ونشاطاتهم الدعوية، والسياسية، بإتيان المعروف واجتناب المنكر.
- حرصا على وحدة صفها الداخلي وتماسك ساحتها الإسلامية، عبر إشاعة الحب والأخوة في الله بين أفرادها خصوصا وبين المسلمين عموماً من خلال المعايشة الاجتماعية، والتكافل الاجتماعي، والحضانة التربوية، والنشاطات العبادية والدعوية والخيرية وغيرها، والمسارعة إلى سد المنافذ التي يدخل منها الشيطان لإفساد العلاقة وتعكير الأجواء عبر الغيبة والنميمة وتسقط العورات وتلمس العيوب والحسد والبغضاء وما إلى ذلك، وليبقى الصف على مثل ما وصفه رسول الله ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له ثائر الأعضاء بالحمى والسهر)).
- أن تكون قيادتها والقائمون على مفاصل العمل لديها في مستوى القدوة الحسنة التي يدعون الناس إليها، ولا جدوى من جماعة قيادتها فاسدة، ولا قيمة لتربية دونما نماذج تجسدها وتترجمها، والقاعدة: إن لسان الحال أبلغ وأفعل من لسان المقال وأن فاقد الشيء لايعطيه... ولكم قامت

جماعات في العصر الحديث ثم زالت واندثرت، لِعلّة أو عِلل في قيادتها، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ((صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء))، والمعنى هنا يطال عموم العلماء وعموم الأمراء.

أن يكون القائمون عليها، على فقه في دين الله ومعرفة بشرعه وإدراك لقوانينه وسننه، فلا يخبّطون في سيرهم خبط عشواء، ولا يتصرفون بهوى وجهل، يصدق فيهم قول الرسول ﷺ: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده)).

- فهم في دعوتهم للناس، يستعصمون بالحق ويتواصون به، يتذرّعون بالحكمة والموعظة الحسنة، ويصبرون على ما أصابهم، ملتزمين في ذلك السلوك القرآني الماثل في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾{النحل:125}.
- ثم إنهم يتعهدون أنفسهم بالخير قبل أن يتعهدوا الآخرين، امتثالا لقوله ﷺ: ((يقول الله تعالى : ياعيسى عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح مني))، ويُعْنَونَ بالأقربين قبل الأبعدين، فهم يفقهون أولويات الدعوة والأقربون أولى بالمعروف، كما يفقهون مراتب الإصلاح والتغير في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾{الفرقان:74}، فهم المطالبون بإصلاح ذريتهم قبل أن يكونوا أئمة وقادة المسلمين، وما قيمة إمامتهم وقيادتهم للناس إن كانت نفوسهم فاسدة وبيوتهم خربة؟
- وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويبذلون النصح لأئمتهم وخاصتهم قبل عامتهم، فلا يكونون شهود زور أو شياطين خرساً ولا يسكتون عن الحق طمعاً في مصالح شخصية ومآرب دنيوية، فهم لايتسترون على منكراتهم ويعلنون النكير على الآخرين، وهذا من الخصال التي أوجبت اللعنة على بني اسرائيل مصدقا لقوله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ۝كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ {المائدة:78:79}.
- وهم الذين يحرصون على صحبة الأتقياء وتقريبهم، ومن ثم تقليدهم مواقع المسؤولية، ويحولون دون وصول الأشقياء أولي المآرب
- الشخصية والخسيسة، وشاهدهم في ذلك قوله تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ {المجادلة:22}.

- وهم . مع الحكمة . يصدعون بالحق ولا يساومون، ولا يبيعون دينهم بعرض زائل من متاع الدنيا وأموالها ومناصبها وجاهها وسلطانها، فهم يستدرجون ميراث النبوة في حياتهم وسلوكهم، ولا يكتفون بحفظه في رؤوسهم، وترداده في خطبهم ومن على منابرهم ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ {التوبة:24}.
- وهم الذين يُنزلون الناس منازلهم: فللسابقين بإحسان منزلتهم، وللعلماء العاملين منزلتهم، وللدعاة المخلصين منزلتهم، وللمجاهدين بأموالهم وأنفسهم منزلتهم، وللناس في مجتمعاتهم ومواقع عملهم ومناصبهم منزلتهم، التي احترمها الإسلام ودعا إلى احترامها حتى أن رسول الله ﷺ حرص على مخاطبة الملوك والحكام بألقابهم.. ففي رسالته إلى هرقل كتب: ((إلى هرقل عظيم الروم..)).
- وهم الذين تتجلى فهم العزة على أعداء الإسلام والذلة بين يدي أوليائه من المسلمين، وهم الأشداء دوما على الكافرين الرحماء دائما بينهم، مصدقا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ {المائدة:54}.
- وهم الذين ينأون بمواقفهم وسياستهم عن مطامع الحكام، ويتحصنون بمبادئهم من منزلقات الجاه والسلطان، لاتعوزهم الحكمة والتدبير والدفع بالتي هي أحسن في تجاوز الصعاب والفتن، يؤمنون بأن الله وليهم، وسيجعل لهم فرجاً ومخرجاً، وهو القائل: ﴿**..وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۞وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ {الطَّلاق:3:2}، ولقد أشار الإمام الشهيد حسن البنا إلى هذه القضية في معرض كلامه عن خصائص الجماعة المسلمة التي أنشأها فقال تحت عنوان "البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان": (إننا معشر القائمين على دعوة الإخوان تعمدنا هذا لأول عهد الدعوة، حتى لايطمس لونها الصافي لوناً آخر من ألوان الدعوات التي يروج لها هؤلاء الكبراء، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها أو يوجهها في غير الغاية التي تقصد إليها) (رسالة المؤتمر الخامس).
- وهم الذين يُيسرون ولا يعسرون ويبشرون ولا ينفرون... فلا يغالون في موقف، ولا يتطرفون في نهج، ولا يبالغون في سلوك وتصرف...
- إنهم يتحاشون أن يكونوا معنين بقوله ﷺ: ((ألا هلك المتنطعون)).

- ويحذرون من أن يطالهم قوله ﷺ: ((ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهراأبقى)).

ثم إنهم الأبعد عن رمي المسلمين بالكفر، ولا ينسون الحكم النبوي الزاجر: ((من كفر مؤمنا فقد كفر)) والانذار والتحذير في قوله ﷺ: ((لاتعودوا بعدي كفارا يلعن بعضكم بعضاً ويقطع بعضكم رقاب بعض)).

- وهم الأكثر اجتناباً وبعداً عن سفك الدماء وترويع الأبرياء وهتك الأعراض ونهب الأموال، مما تشهده اليوم الكثير من المجتمعات الإسلامية والمتهمة به حركات إسلامية وجماعات أصولية والإسلام من كل ذلك براء؟
- أن تكون متوازنة ومتكاملة التربية لا ينمو لديها جانب على آخر ولا تشغلها عن الاهتمام بالجزيئات الأخرى ووفق الأولويات... فهي تهتم ابتداء بالتربية العقائدية والعبادية والأخلاقية والدعوية والحركية، ولاتغفل عن الجوانب الرياضية والبدنية والكشفية كما الأخرى التنظيمية والإدارية وغيرها، ولقد أجمل الإمام الشهيد "حسن البنا" كل ذلك بقوله: إن الاخوان المسلمين: (دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية... وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحي، وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها، يتجهون إليها جميعاً، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعا) (رسالة المؤتمر الخامس).

ثم يؤكد الإمام "البنا" على ذلك فيقول: (في الوقت الذي يكون فيه منكم: ثلاثمائة كتيبة، قد جهزت كل منها نفسها روحيا بالايمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجاج البحار، واقتحم معكم عنان السماء، واغزو بكم كل عنيد جبار، فأني فاعل إن شاء الله)، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ((ولن يغلب اثنا عشر الفا من قلة)) (المؤتمر الخامس).

وفي كلام جامع مانع حدد الإمام "البنا" خصائص الجماعة الراشدة فذكر من ذلك:

1 - البعد عن مواطن الخلاف.
2 - البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء.
3 - البعد عن الأحزاب والهيئات.
4 - العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات.
5 - إيثار الناحية العملية الإنتاجية عن الدعاية والإعلان.
6 - شدة الإقبال على الشباب.

7 - سرعة الانتشار في القرى والبلاد.

وختم "البنا" كلامه مركزاً على ثوابت ثلاث:

1 - الإيمان العميق.

2 - التكوين الدقيق.

3 - العمل المتواصل.

واخيراً ...

فإن هذه المؤشرات وغيرها، يمكن أن تساعد على التمييز بين السليم والسقيم، والغث والسمين، مما تحفل به الساحة من جماعات وحركات وتنظيمات...

فإذا اتصفت جماعة من الجماعات بالوهن في عقيدتها، والترخص في مبادئها، والذيول في عبادتها، والضعف في أخوتها، والتصدع في وحدتها، والصراع بين أجيالها، وتعدد مراكز القوى في بنيتها، وشيوع اللغو والغيبة والنميمة بين أفرادها، والتنافس على مكاسب الدنيا ومواقعها من قبل أعضائها، وتراجع قراءتها وثقافتها وعلمها ونشاطها وانتاجها،... وإذا هي منيت بالهزائم في معاركها، والخسارة في صفوفها وكوادرها، والخرق والاحتواء من قبل اعدائها، إضافة إلى ضعف حضورها وأثرها وفاعيلتها، فلتعلم تلك الجماعة أنها على خطر كبير وشر مستطير، وأن عليها أن تبادر إلى معالجة حالها بصدق مع الله قبل فوات الأوان. وإن في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ما يُغني: ﴿..**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ..**﴾{الرعد:17}، ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾{يوسف:64}.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

صلاح قيادتها

لا أبالغ إذا قلت : أن العالم الإسلامي اليوم بمؤسساته الرسمية والأهلية يعيش أزمة قيادة من كثرة القادة؟

فليس كل قائد جدير بالقيادة مطلق القيادة فكيف القيادة الإسلامية ؟

بل إن معظم القادة لم يبلغوا مواقع القيادة بمؤهلاتهم القيادية أو وفق أبجديات الارتقاء والصعود ونواميسه الطبيعية.

فهذا قائد ورث القيادة عائليا عن أسلافه ومن سبقه من أشقاء وآباء وذاك جاء به إلى موقع القيادة إنقلاب عسكري وآخر اقتضت مصالح إقليمية أو دولية أن يعتلي العرش فاعتلاه..

ومنهم من جاء نتيجة استفتاء شعبي أو انتخاب برلماني بصرف النظر عن كونه صحيحاً أو مزوراً ومعلباً؟

هذا في نطاق المواقع القيادية الرسمية إما في نطاق المواقع القيادية الإسلامية (الحركية والحزبية والأهلية) فحدّث ولا حرج... ويبدو أن المرض يكاد أن يكون واحداً بين القيادات الشعبية والقيادات الرسمية، ذلك أن إنسان هذا الزمن واحد، سواء كان في هذه الدائرة أو تلك مع ملاحظة بعض الفروق أو وجود بعض الاستثناءات، إنما بمجموعها لاتشكل حالة عافية يعتد بها...

ففي ساحة الإسلاميين نلاحظ أنماطا عجيبة من القادة مع الاعتراف بوجود أكفاء، إنما كفاءة هؤلاء تبقى حبيسة قمام التنظيم الذي ينتمون إليه دون أن يتمكنوا من لعب دور قيادي عام جامع، ولم شعث الشتات من التنظيمات والحركات والجماعات المتناثرة هنا وهناك وهنالك...

فهذا وصل إلى موقع قيادي نتيجة تزعم انشقاق عن الحركة التي انتمى إليها وعمل في صفوفها...

وذلك جاء نتيجة عملية تصحيحية لواقع حركي معين، وبصرف النظر عن كون هذا التصحيح هو للمصلحة الحركية أو للمصلحة الشخصية؟

وآخر تسلق جدار التنظيم وتسلل إلى حرم القيادة في غفلة من الجميع أو بتشجيع من حرس التنظيم نفسه أو بعضهم لغاية في نفس يعقوب؟

وهناك من قرر أو قرر له أن يصبح زعيما فجمع عدداً من الأنصار والمحاسيب ونودي به أميراً فكان؟

ويبقى القليل من هؤلاء وأولئك من تولى القيادة بجدارة ووفق الاصول والشروط المعتبرة والمقررة.

باختصار شديد أقول أن الأزمة القيادية هذه لم تنشأ من عدم ولم تأت من فراغ وإنما تشكلت نتيجة أسباب موضوعية كثيرة منها:

1 - قصور مناهج التغيير وعجزها عن إمداد الواقع البشري بنماذج قيادية في مستوى الإسلام، ومستوى العصر، ثم مستوى المهمات المناطة بها، بسبب استعجال الوصول حيناً، أو سوء الاختيار أحيانا، ونتيجة لتحكم الأمزجة والأهواء في بعض الأحيان.

إنه لابد من النفاذ إلى عمق المراد والمطلوب من (سنّة التغيير) حتى لاتبقى عملية التغيير نظرية غير واقعية، أومجتزأة غير كاملة، أو جانحة غير متوازنة، أو خليطاً من كل هذا وذاك، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾{الرعد:11}، ويقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ {الأنفال:53}.

2 - ضياع التصور القيادي، ومسؤولية الأمانة وقدسيتها بين مفهوم التكليف والتشريع، مما يفسد المناخات ويحبط الأعمال والخطوات، ويفتح باباً واسعاً للشيطان، حيث تشرئب حظوظ النفوس، وتستيقظ الأهواء والشهوات، فيتفاقم اللهث على مواقع القيادة، ويتعاظم الصراع على حب الولاية وطلبها، مما يرفضه ولا يستسيغه النهج النبوي القائل: ((طالب الولاية لا يولى)).

فإذا حصل هذا ووقع ما يخالف أمر الله ورسوله لابد من وقوع الكارثة التي أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله: ((إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة))، وكان لا بد من الضيعة والخسران، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ((من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو اتقى لله منه، فقد خان الله ورسوله والذين آمنوا)).

3 - امتداد اليد الخارجية وعبثها بالكيانات التنظيمية، وتركيزها على مواقع القرار؛ لأنه الأسهل إلى تحقيق أغراضها وتمرير مشاريعها وسياساتها التأمرية، فأن لم تتحقق لها ما تريد كان الخلع والإقصاء بكل صوره واساليبه؟

وعملية الاختراق هذه قد تبدأ بطرح أفكار ومشاريع لتهيئة المناخ، وقد يرافقها العطاء السخيّ والوعود الوردية، وأحياناً تستخدم فيها لغة التهديد والوعيد، وهكذا؟؟

4 - حدوث أو إحداث مناخ فاسد ضمن الدائرة المعنية أو البنية الحركية، كتشكيل مراكز قوى، أو تحريك الصراعات بين الأجيال، أو بتعطيل الأخذ بفقه (الأولويات) و (والموازنات) وسنة (الثواب والعقاب) واعتماد (المنطق التبريري) الذي يرفض الاعتراف بالأخطاء ويُصر على جعل الكرة في ملاعب الآخرين دائما وأبداً؟؟ ولقد كنت خائفاً ومتوقعاً حدوث ذلك على الساحة الإسلامية يوم وضعت كتابي "احذروا الايدز الحركي" وضمّنته كتابي "نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر".

أهمية القيادة في الإسلام:

إن أهمية القيادة في الإسلام بالغة وكبيرة واللفتة النبوية الكريمة تلامس صميم ذلك وذروته من خلال قوله ﷺ: ((صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء)).

والسنّة هذه تجري وتطال كل القيادات من غير استثناء وتمييز بين قيادات رسمية وسياسية وبين أخرى شعبية حركية، فالكل مسؤول والقادة الإسلاميون أعظم مسؤولية من غيرهم لأنهم حملة رسالة الإسلام ودعوته؛ ويجب أن يكونوا في المستوى المطلوب، وغيرهم ليسوا كذلك بل إنهم لم يدّعوا ذلك.

كنّا ولا زلنا . نحن الإسلاميين . ننقد الواقع السياسي القائم بأن ننحو باللائمة على الحكام والمسؤولين، واستثنينا أنفسنا كقادة ومسؤولين من التقويم والنقد، وبالغنا في تطبيق الشرع عليهم دون أنفسنا، واعتبرنا . مخطئين . إن كل ما ورد ذكره في كتاب الله تعالى وسنته المطهرة عن الحكام والأمراء . أمراً ونهياً . لايعنينا كأمراء وقادة في شيء؟ وفاتنا أن الخطاب شامل وأننا كقادة إسلاميين معنيون قبل غيرنا وأكثر من غيرنا..

فالسلطان الجائر الذي ورد ذكره في حديث ((سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله))، وحديث: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))، إن هذا السلطان يمكن أن يكون أمير جماعة كما يمكن أن يكون رئيس دولة، والحكم واحد في كليهما... ولقد حسم

رسول الله ﷺ الجدل هذا بقوله: ((والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)).

ولكم شهدت ظلما من (قادة اسلامين) بحق الآخرين كما بحق اخوانهم لا يدانيه ظلم أعداء الإسلام لهم ومكرهم بهم، وصدق الشاعر حيث يقول :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند

إن المعادلة الإسلامية ـ قرآنية ونبوية ـ قطعت بأهمية دور القيادة، وإن الأمة تسعد وتسود بصلاح الراعي الصالح كما أنها تشقى بفساده...

وثمة قضية هامة لابد من تبيانها وتجليتها، حتى لا تكون ذريعة في محلها، وهي أن المقصود بالصلاح هنا هو صلاح كل شيء من أمور الدين والدنيا... صلاح المظهر والمخبر، صلاح العقيدة والعبادة، صلاح القول والعمل، صلاح الأخلاق والإدارة والسياسة، إلخ.

المهمات المترتبة على القيادة في الإسلام :

إن المهمات الملقاة على كاهل القيادة ثقيلة جداً، مما يجعل مسؤوليتها أمام الله أولاً ثم أمام الناس كبيرة... ولقد تناول علماء السلف هذا الجانب بكل دقة وإسهاب، وأفردوا له المؤلفات لعظيم شأنه وكبير أثره على واقع المسلمين ومستقبلهم، على تقدمهم وتأخرهم، على قوتهم وضعفهم، على نجاحهم وفشلهم، على صلاحهم وفسادهم، مصدقا لقوله ﷺ: ((صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء)).

يقول "أبو يعلى الفراء الحنبلي" في كتابه "الأحكام السلطانية": ويلزم الأمراء من أمور الأمة عشرة أشياء:

1 - حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة... فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من الخلل، والأمة ممنوعة من الزّلل ..

2 - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بينهم، حتى تظهر النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

3 - حماية البيضة والذبّ عن الحمى ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين.

4 - إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتُحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

5 - تحصين الثغور بالعدّة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً، ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد.

6 - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة، حتى يُسلم أو يدخل في الذمة.

7 - جباية الفَيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير عسف.

8 - تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير، ودفعه في وقت لاتقديم فيه ولا تأخير.

9 - استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة.

10 - أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال، ليهتم بسياسة الأمة، وحراسة الملة، ولا يُعوّل على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى﴾{ص:26}، فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشر وقد قال ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)).

إن كل مهمة من هذه المهمات هي عنوان كبير تندرج تحته مفردات كثيرة من شأنها أن تشكل منظومة شاملة متكاملة من المسؤوليات والأعباء الملقاة على كاهل القادة المسلمين والقيادات الإسلامية مما يكشف أبعاد المعاني التي عناها رسول الله ﷺ وهو يصف المسؤولية، فيقول: ((إنها لأمانة، وإنها يوم القيامة لخزي وندامة، إلا من أخذها بحق)).

المسؤولية الشرعية للقيادة :

قد لا يقدر إلا القليل حجم المسؤولية الشرعية المُودَعة في عنق القائد، وقد يعتبرها البعض مسؤولية بحجم مسؤولية معاونيه ومساعديه أو بحجم مسؤولية أعضاء المجلس القيادي ليس إلاّ؟

ويذهب الشطط بالبعض إلى اعتبار رأي القائد كرأي أي فرد من أفراد التنظيم؟ أوَ ليسوا جميعاً سواء كأسنان المشط الواحد؟ ودونما تمييز بين المساواة الإنسانية التي تطال الجميع وبين مراتب المسؤولية التي لايجوز أن تكون سواء بين الجميع بأي حال من الأحوال؟

فما قيمة القيادة إن لم تُعطَ حق المفاضلة بين الآراء، بين ما تراه خطأ أو صواباً راجحا أو مرجوحاً؟؟

ثم لماذا يكون القائد مسؤولا إن لم يكن له فصل الخطاب والقرار الأخير بعد التشاور وتقليب وجهات النظر؟ أو ليس حجم المسؤولية بحجم الصلاحية كما يؤكد شرعنا الإسلامي، وكما هو متداول ومعمول به في كافة الأنظمة والقوانين الوضعية؟

ثم كيف يمكن أن يكون للقائد حق الطاعة دون غيره . وهو حق شرعي مقدس . إن لم تكن مسؤوليته الشرعية أكبر أو أعظم؟ وعلى أيٍّ وجه يمكن أن يفسر قوله ﷺ: ((اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبشي رأسه زبيبة، أو كالزبيبة)).

بل لماذا تكون مسؤولية القائد كبيرة امام الله، ثم إمام الناس إن لم يحظ بصلاحيات ومهمات ليست لسواه وكيف يكون حاله وحال من حوله سواء وهو معني بالخطاب النبوي ((إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظه أم ضيعه)).

أو لم يؤد هذا التصور المغلوط إلى نشوء أجيال لا تقيم وزنا لسابقة إيماناً وعلم وخبرة ومسؤولية وسن وإلى انتشار بدعة هم رجال ونحن رجال، وإلى مخالفة صريحة للقاعدة القرآنية التي تصف حال الخلف والسلف من خلال قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ۞وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۞وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ {الحشر:10:8} .

وتبعا لنشوء هذه الظاهرة تختل كل المعادلات وتبرز أحوال عجيبة من انعدام الوزن فيتقدم للمواقع الشورية حديثو العلم والخبرة، بدل أن يأخذوا دورهم الطبيعي في المواقع التنفيذية، وتتعطل المواقع التنفيذية التي أخلاها الخلف ويتعذر أن يملأها السلف، ويصبح الحال كحال إنسان يمشي مكباً على رأسه مفكراً بقدميه؟

إن الإقلال من شأن القيادة وتبهيت دور القائد واستلاب صلاحيته بدعوى المساواة البدعية، أو بدعة المساواة والتي غالباً ما تخفي وراءها أهدافا شخصانية شيطانية تؤدي بالنتيجة إلى تعددية القادة والرؤوس، ونشوء مراكز قوى ونفوذ في الكيان التنظيمي الواحد، وبالتالي إلى هلكته وانهياره على رؤوس الجميع؟

وإذا كان القائد في الإسلام واحداً لا أكثر . ليتحقق الامساك بمسيرة وتحديد المسؤولية . فإن هذا لايعني . كما يريد أن يصور البعض . أن يكون القائد دكتاتوراً وحاكماً برأيه من غير شورى ومؤسسات شورية، ومن غير قواعد وأصول للتشاور مع أهل الحل والعقد؟

إن غير ذلك لا يعني ولا يؤدي إلى إعجاب كل ذي رأي برأيه، ومن هنا كان موقف الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ حيال ظاهرة الردة بعد وفاة الرسول ﷺ؛ إذ اخذ بتلابيب الفاروق "عمر بن الخطاب ﷺ" . الذي رأى عدم الدخول في حرب مع المرتدين . وقال: (جباراً في الجاهلية خواراً في الإسلام ياعمر؟ والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف بيدي)، إنه موقف وقرار القائد القائم بدوره وواجبه المدرك للمسؤولية الشرعية.

إن القيادة في الإسلام ليست مظهرية أو شكلية أو فولكلورية... إنها أمانة كبرى ومسؤولية عظمى، مَن زَهِد فيها أعينَ عليها ومن طمع فيها وُكِل إليها.

ولَكَم نُكِبَ المسلمون بقيادات لها ظاهر القيادة ومظهرها، بينما هي في الحقيقة مُقادة من أخرى تمارس دورها في الظل، متحكمة في كل شيء ومن غير أن تكون مسؤولة عن شيء؟

قيادة الظل:

هنالك نوع من الناس . لسبب أو لآخر . لا يحبون العمل في واضحة النهار، وينأون عن تحمل المسؤولية القيادية علانية وبشكل مباشر، ويعمدون إلى ممارسة دورهم وتحقيق مقاصدهم من وراء القيادات الشرعية المعلنة؟

وهذا النوع من القيادات الخفية لا يتاح لأصحابها فرصة مباشرة نفوذها والتعبير عن خبايا نفوسها إلا من خلال وجود قيادة ضعيفة، حين ينحصر دورها الخفي حيال وجود قيادة قوية فاعلة في تهميش هذه القيادة وتحطيمها والإتيان بأخرى يسهل قيادها ومصادرة قرارها.

والمتتبع لخلفية هذا النوع من البشر يلاحظ وجود خلل نفسي لديه يتصل بخلفية نشأته وتكوينه، قد يعلمه وقد لا يعلمه، وقد يشعر به وقد لا يشعر به صاحبه، ولكنه بالنتيجة موجود ويظهر واضحا وجلياً من مجمل سلوكياته التي تتركز باستمرار على ممارسة القمع والتسلط، والاستئثار بالقرار بما في ذلك من دعم وتأييد للموالين والتخلص من المناوئين والمعارضين ؟

والغريب المريب في هؤلاء أنهم يقربون ويكرمون من والاهم، ولو كانوا عاصين لله ورسوله، في حين يبعدون ويحاربون من عارضهم، ولو كانوا مستقيمين صالحين؟

وإذا ابتليت جماعة مسلمة بهذا النوع من الناس، فقد أوشك نجمها على أفول ومصيرها إلى زوال وريحها إلى ذهاب؟

وختاماً... فإن الجماعة المسلمة كي تكون راشدة ناجحة موفقة لا بد لها من قيادة واعية وصالحة وقوية... ويستحيل قيام تنظيم جديد من غير قيادة جيدة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وكل إناء بالذي فيه ينضح، والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

القيادة الراشدة

- صفات ومواصفات -

- القيادة الراشدة هي التي تستوعب من حولها من الناس على تناقض وتباين طباعهم وأمزجتهم وعقولهم ومؤهلاتهم وطاقاتهم وقدراتهم ومواقعهم.
- القيادة الراشدة هي تلك التي لا تسمح بوصول الأزمات والمشكلات إلى نقطة اللاعودة .
- القيادة الراشدة هي تلك التي تلتزم المعايير الشرعية والتنظيمية في التعامل مع الأبناء والأعداء؛ فهي في الأولى تتذلل وتلين ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾، وفي الثانية تشتد وتستعصي ﴿**أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ**﴾ {المائدة:54} .
- القيادة الراشدة هي التي تضع الأفراد في مواضعهم فلا تصغر الكبير ولا تكبر الصغير.
- القيادة الراشدة هي تلك التي تدرك أنها تخطئ وتصيب، وأنها غير معصومة عن الخطأ، وأنها عليها أن تعترف بخطئها، ولا تعتمد سياسة تبرير الخطأ، أو تعتمد البدعة القائلة بأن ما تستحسنه الأكثرية هو حسن، وأن ما تستقبحه هو قبيح من غير اعتداد بالحكم الشرعي.
- القيادة الراشدة هي تلك التي تتحرى العدالة في مواقفها، فتنأى عن أي موقف فيه شبه ظلم.

  وهي التي لا يطمع قوي في جورها، ولا ييأس ضعيف من عدلها.
- القيادة الراشدة هي تلك التي تدرك مسؤولية موقفها، فتراقب الله في أعمالها وتصرفاتها وقرارتها؛ إذ هي على خطر كبير وإن أهملت وضيعت (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظه أم ضيعه).
- القيادة الراشدة هي التي لا تسمح بنشوء مراكز قوى في التنظيم، وتبقى من الجميع على مسافة واحدة، لا تلين مع فريق وتشتد مع فريق آخر، وله في قصة أخوة يوسف عبرة.

مسؤولية القائد:

في ضوء ما تقدم تصبح مسؤولية القائد كبيرة، وهو فيها على خطر كبير، تتعاظم حسناته إن أحسن، وتتفاقم سيئاته إن أساء... أما من حوله من المساعدين والمعاونين، فإن عليهم أن لا يضنّوا عليه بنصح أو توجيه...

وحسبنا في هذا المقام وصية "أبي عبيدة بن الجراح" "ومعاذ بن جبل" إلى "عمر بن الخطاب"ﷺ حيث جاء فيها: (من أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب: سلام عليك، أما بعد؛ فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل، فانظر كيف أنت

عند ذلك يا عمر، فإنا نحذرك يوماً تعنا فيه الوجوه، وتجف فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته، فالخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عقابه، وإنا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية، أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنما كتبنا به نصيحة لك، والسلام عليكم)! (ابو نعيم في الحلية (238/1).

بين قيادة الأبوة والتنظيم:

ويحلو للبعض أن يتنطع أحيانا منتقداً (القيادة الابوية) محارباً لها ومؤيداً (القيادة التنظيمية) داعياً إليها... في حين أن الفارق بين الإثنين كبير...

- فالقيادة (الأبوية) تبقى القيادة الحانية على أبناء الصف الساهرة على شؤونهم تشتد بقدر، وتلين حيث يتطلب اللين وبقدر.

فهي لاتتعامل مع الأفراد من موقع وظيفي، ومنصب إداري تحكمه القوانين والأنظمة واللوائح المجردة وإنما من خلال ماتتطلبه المصلحة من رعاية ومساءلة وثواب وعقاب. ونحن إن تجاوزنا ما أصبح شائعا ومعروفا من مواقف الخلفاء، فإننا نتوقف عند واحدة من الوصايا، ومثلها كثير يوصي بها أبي بكر الصديق ﷺ "عمرو بن العاص" حيث يقول (ياعمرو اتق الله في سرائرك وعلانيتك واستحيه فأنه يراك ويرى عملك وقد رأيت تقديمي إياك على من هم أقدم سابقة منك ومن كان أعظم غنى مني ،الإسلام وأهله منك، فكن من عمال الآخرة وأرد بما تعمل وجه الله، وكن والداً لمن معك، ولا تكشفن للناس عن أستارهم واكتف بعلانيتهم وكن مجداً في أمرك وأصدق اللقاء إذا لقيت ولا تجبن وتقدم في الغلول وعاقب عليه وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تُصلح لك رعيتك) (كذا في كنز العمال(133/3).

والقيادة الأبوية ليست بمقدار الجميع، فهي جبلة فطرية ربانية تصنعها الممارسة والمعايشة والمتابعة بومضة العقل ولهفة القلب، وعبق العاطفة.

ان يوم تتحول القيادة إلى (آلة صماء) تتحرك وفق المواد القانونية والبنود التنظيمية تفقد دورها ويعظم ضررها وتغدو اشبه (بالرجل الآلي) الذي يتحرك وفق ما أعد له من برامج ومهمات. يقول الرسول ﷺ: ((أهل الجنة ثلاث: ذو سلطان مقسط موفق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال)) (رواه مسلم).

من صفات القيادة الأبوية :

ولكم في اللفتة القرآنية واضحة ومعبرة عن كل الصفات القيادة الابوية الراشدة، والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ۞فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ {التوبة:128،129}.

إن الصفة الكبرى والعلامة الفارقة التي حرصت الآية الكريمة على الاشارة اليها وتأكيدها في شخصية القائد الأول اذ هو القدوة الحسنة والأسوة الصالحة لكل القادة والمسؤولين والقياديين هي صفة الأبوة التي تجمع بين الاشفاق على الاخرين من العنت ﴿..**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ..**﴾ والحرص على سلامتهم وعافيتهم ومصلحتهم ﴿..**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ..**﴾ والرأفة والرحمة بهم ﴿..**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ..**﴾ {التوبة:128}.

ولقد تجسدت هذه الصفات القيادية الأبوية في كل المواقف والتصرفات وفي مختلف المواقف والظروف والاحداث التي حفل بها العهد النبوي والتي تزخر بها كتب السنة والسيرة.

من ذلك:

- حادثة خيانة حاطب بن أبي بلتعة الذي بعث برسالة إلى المشركين يخبرهم عن خروج الرسول ﷺ لفتح مكة وقول عمر بن الخطاب للرسول ﷺ إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني أضرب عنقه، قال ﷺ: ((ياعمر وما يدريك؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملو ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة...)) فدمعت عينا عمر، وقال : الله ورسوله أعلم ، (رواه البخاري).
- وحادثة عبدالله بن أبي عندما قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقام عمر فقال : يارسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: ((دعه لايتحدث الناس أن محمدا يقتل صاحبه)) (البخاري).
- وحادثة اليهودي الذي جاء يطالب الرسول ﷺ بوفاء دينه، قائلاً : انكم بنو عبد المطلب قوم مطل فرفع عمر بن الخطاب سيفه يريد أن يقطع عنقه فزجره رسول الله ﷺ قائلا: ((إنما كان عليك ياعمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الطلب)).
- وحادثة استيعابه ﷺ لأبي سفيان يوم فتح مكة وكان زعيماً يحب الفخر حيث اختصه برسالة إلى المشركين يقول فيها: ((ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن...)) ليتحاشى وقوع الحرب في البلد الحرام.

سيماهم في وجوههم:

إن صورة القائد المسلم ليست الصورة المخيفة والمرعبة أو الكريهة المؤذية كما يظن البعض أو يحلو للبعض أن يتقمصها إنها ليست الصورة العابسة دائما المكشر أبداً وهي ليست صورة السيد الذي يتعامل مع الآخرين وكأنهم عبيداً له أو مما ملكت يمينه !

كما أنها ليست صورة الحاكم العسكري والقاضي الميداني الذي يتلذذ بظلم الآخرين وقهرهم وإصدار الأحكام القاسية بحقهم لسرعة التخلص منهم وإقفال ملفاتهم.

عرفت أنماط من القادة ومن أشباه القادة لهم السنة حداد سلطة على الأقربين معقودة عن الأبعدين ومن أشد الناس غلظة وأعظمهم سفاهة وأكثرهم تطاولا واستهزاء وسخرية .

لكم قطّعوا من أواصر وانتهكوا من حرمات وتعدوا على كرامات واوقعوا ضحايا وتسببوا بخسائر ينتهرون إخوانا انتهارا ويزجرونهم زجراً ويقدحونهم قدحاً وكأنهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾{التوبة:10}،

والمقصودون بقوله ﷺ: ((هل تدرون من المفلس؟)) قالوا المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال: ((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وزكاة ويأتي قد شتم عرض هذا وقذف هذا وأكل مال هذا فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)) (مسند احمد).

إن القيادة التي تلعب دوراً كبيراً في إنجاح المشروع الإسلامي أو إسقاطه وإفشاله ودور القائد بالغ الأهمية في تقدم الحركات او تراجعها وفي ازدهارها أو اندثارها .

وأتمنى أنه لاتضيق نفوس القادة والمسؤولين عن سماع كلمة الحق والنزول عند مقتضى الشرع وتقديم مصلحة الإسلام على كل مصلحة...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤسسة فتي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

قراءة لنتائج انتخابات برلمانية

في ضوء السنن الإلهية والقواعد العلمية

ما أحوجنا إلى أن نتفقه في دين الله وأن نقرأ الأحداث من خلال السنن الإلهية والوقائع البشرية والشواهد الحسية تلمساً للعبرة وتجلية للفكر واستفادة من التجربة والخبرة .

ومن أهم من ما ينبغي الوقوف عنده وإمعان النظر فيه وأخذ العبرة منه مايتصل بواقعنا البشري وحركتنا اليومية وما يرافق ذلك من فشل ونجاح وهزيمة ونصر، وهنا بلاء على مستوى الفرد والجماعة والدولة والأمة والعالم ..

ومن أخطر الظواهر المرضية التي نعيشها أننا بتنا لانربط، وفي كثير من الأحيان، بين (الخطيئة والمصيبة) وبين (الذنب والعقاب) من السنن الإلهية والمعادلات الربانية التي لا تتغير ولا تتبدل على مر العصور والدهور، مصدقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ {الشُّورى:30}.

أنا لا أقول هذا واصفاً للواقع الإسلامي العام فحسب وإنما كذلك وقبل ذلك الواقع الإسلامي الخاص أي للحركة الإسلامية المؤتمنة على إحياء السنن الكونية والاحتكام إلى المبادئ والقواعد الشرعية فهي العواصم من القواصم والطريق القويم والصراط المستقيم مصدقا لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾ {الأحزاب:36}، وقوله: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ {النساء:65}.

ماذا أعني بالخطايا؟

قد يظن البعض أن الخطايا هي فقط تلك المعروفة من الدين بالضرورة كإتيان المحرمات وارتكاب المعاصي والموبقات والحقيقة أنه لا يختلف أحد في كونها من الخطايا وفق ما جاء تصنيفها المعروف بين كبيرة وصغيرة...

إنما عنيت بالخطايا كل ماهو مخالف لسنة إلهية أو حقيقة علمية أو قاعدة شرعية أو نصوص قرآنية ونبوية قطعية.

فتطيل الأخذ بالأسباب من الخطايا لكونه مخالفة لثابتة قرآنية واضحة الدلالة في قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾{الأنفال:60}.

وعدم الحيطة والأخذ بالحذر في مجمل العلاقات البشرية وبخاصة مع أعداء الله من الخطايا التي أشار القران الكريم في مواقع كثيرة منها ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ {النساء:71}.

وعدم إتقان العمل وما يماثل ذلك من فوضى وعفوية من الخطايا الموجبة للاخفاق والفشل والمخالفة للنصوص النبوية ومنها قوله ﷺ: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته)) (رواه مسلم)، وقوله: ((إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه)).

والاختلاف والتفرق من الخطايا المؤدية إلى الضعف والهزيمة، وذهاب الأثر والريح بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {آل عمران:105}، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ {الأنفال:46}.

والإصابة بداءً العجب والكبر والغرور من الخطايا الحالقة للدين المؤدية إلى مقت رب العالمين وإلى تخليه عن أصحاب هذا الخلق الذميم ولكم استعاذ رسول الله ﷺ من نفخة الكبرياء.

ثم إن عدم الفطنة ومعرفة ماعند الآخرين من مساوئ ومحاسن ومضار ومنافع من الخطايا التي تسهم في إضعاف المسلمين والنيل منهم وغلبة أعدائهم عليهم ولقد جاءت الإشارة إليها في أكثر من موضع نبوي منها قوله ﷺ: ((المؤمن كيس فطن حذر)) (مسند الشهاب)، وقوله: ((من تعلم لغة قوم أمن مكرهم)).

وإن وقوع الظلم وغياب العدل وتحكم المصالح والأهواء وتعطل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين من أعظم الخطايا التي تفتح باب المفاسد والرزايا على المجتمع المسلم والساحة الإسلامية وتجلب كل ألوان الشقاء والبلاء وهي كانت من أسباب حلول اللعنة على بني إسرائيل مصدقا لقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ {المائدة:78}.

إن هذه وغيرها . مما لا يحصى له عد . يجب احتسابها من الخطايا المتسببة بوقوع المحن والمصائب والهزائم على أنواعها في ساحة المسلمين .

الخطايا وانواعها:

لقد حفل القرآن الكريم بتسميات شتى للخطايا التي أوجبت سخط الله وعقوبته على الأمم والشعوب نورد منها مايلي :

الذنوب: التي وردت في قوله تعالى: ﴿..فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾{الأنعام:6}.

الآثام حيث وردت في قوله تعالى:﴿..إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ {الأنعام:120}.

الخطيئة حيث وردت في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ {نوح:25}.

الظلم والفسوق: كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ {البقرة:59}.

السوء والمنكر: كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ {الأنبياء:77}.

المعصية: كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ {الجنّ:23}.

العتو والاستكبار: كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا❁فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ {الطَّلاق:9:8}.

الفساد والانحراف : كما جاء في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ {الرُّوم:41}، وقوله: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ❁فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ❁إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾ {الفجر:14:12}.

المصائب وأنواعها:

أما المصائب فهي على أنواع ودرجات شتى...

فهناك مصائب تكفير وتطهير يختص الله بها المؤمن، تكفيراً للخطايا ومحواً للسيئات ورفعاً للدرجات، مصداقاً لقوله ﷺ: ((مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا وهم ولا حزن، ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)) وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ❁الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ {البقرة:156:155}.

وهناك مصائب إبتلاء وتمحيص: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ {الأنفال:37}.

وضمن هذه الدائرة يقع قوله تعالى: ﴿الم۞أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۞وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾{العنكبوت:1:3}، كما يأتي قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ {محمد:31}.

وضمن هذه الدائرة يُفهم قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا۞مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ {الأحزاب:23:22}.

وهناك مصائب عقوبة وانتقام يمكن أن تقع على الأفراد والجماعات والشعوب والدول والأمم، بسبب تكاثر الذنوب وتعاظم المعاصي وشيوع الخطايا والمنكرات والمفاسد، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ {العنكبوت:40}.

- بسبب شيوع المعاصي وظهور الفواحش تحلّ اللعنات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ {الإسراء:16}، وإلى هذا المعنى جاء في القول المأثور: (وما تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء)، وإن انتشار وباء الإيدز لدليل حسي على ذلك ...
- وبسبب تعطيل فريضة الجهاد في سبيل الله تنزل الهزائم ويقع الذل والهوان، مصدقا للقول المأثور: (ماترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ذُلّوا).
- وبسبب توقف وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترتفع النعم وتحلّ النقم، مصدقاً لقوله ﷺ: ((لاتزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها))، قالوا: يارسول الله وما الاستخفاف بحقها؟ قال: ((يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير)) (الترغيب والترهيب).
- وبسبب تكاثر الخبائث وتناقض الطيبات، يكون الهلاك الذي أشار إليه رسول الله ﷺ؛ فعن "زينب بنت جحش" قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نومه محمراً وجهه وهو يقول : ((لا اله الا الله)) يرددها ثلاث مرات، ((ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)) وعقد عشراً، قالت زينب: قلت يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال : ((نعم إذا كثر الخبث)) (الترمذي).

نماذج من واقعنا الإسلامي قديما وحديثا:

إذا أردنا أن نسقط ما أوردناه من كلام في فقه الخطايا والمصائب على تاريخنا الإسلامي القديم وواقعنا الإسلامي الجديد لطالعتنا المشاهد التالية:

فمن القديم أمامنا مشهد عقوبة حلت بالمسلمين يوم "أحد" بسبب معصية ارتكبتها مجموعة من الرماة المكلفين بحماية ظهر المسلمين فبعد أن تحقق النصر المؤزر للجيش الإسلامي وفر المشركون انشغل المسلمون في أخذ الغنائم ولم يكن من الرماة إلا أن قالوا: (مانفعل وقد نصر الله رسوله؟) فتركوا موقعهم ورأى "خالد بن الوليد" ولم يكن قد أسلم بعد وكان قائد ميمنة المشركين انكشاف ظهر المسلمين من الرماة فكر عليهم وأعمل السيوف في ظهورهم على حين غرة وبذلك انقلب النصر إلى هزيمة وقتل عدد كبير من كبار الصحابة والحفظة، وشج رأس الرسولﷺ وكسرت رباعيته وكاد أن ينال منه المشركون..

ومن القديم كذلك مشهد ما جرى يوم حنين حيث خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً من المسلمين وقد أعجبت البعض كثرتهم وافصحوا عنها متباهين (والله لن نغلب اليوم من قلة).

لقد شكل هذا الكلام في حد ذاته خطيئة وخطيئة كبرى لأنه يحمل في أبعاد معناها حول الغفلة من اعتماد على غير الله وركون إلى وفرة عدد وكثرة عتاد وهذه في الحقيقة شرك بالله....

وجاءت العقوبة على هذه العصبة سريعة تجلت في غلبة أعداء الله ابتداءً وفرار الكثير من ضعفاء الإيمان من ساحتها وأشيع أن رسول الله قد قتل فوقف رسول الله ﷺ مخاطبا الأنصار والمهاجرين قائلا:

أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

فتكاثر المسلمون من حوله وكروا على المشركين وانتهت المعركة بانتصار المسلمين ومع عبرة كبيرة ودرس لاينسى تجلى في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ۞ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ۞ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ {التوبة:25:27}.

مأساة انتخابات برلمانية ولا من اعتبار؟

قد يصعب على البعض في الساحة الإسلامية أن يعترفوا بأخطائهم حيال فشل أو هزيمة حلت بهم ونزلت بساحتهم ويظلون مكابرين يفتشون عن المبررات وذرائع فشلهم خارج دائرة مسؤوليتهم؟

إن هؤلاء يعتبرون أنفسهم فوق الخطأ وأن الخطأ دائماً في ملاعب الآخرين والرجوع عن الخطأ في نظر هؤلاء رذيلة وليس فضيلة كما هو معروف ولهذا فهم يندفعون في هذا الاتجاه ويسترسلون في الخطأ .

ولقد كانت نتائج انتخابات نيابية جرت في أحد الأقطار بمثابة الكارثة لا لكونها أدت إلى فشل المرشحين الإسلامين فحسب ولا لأن الأصوات التي نالها هؤلاء كانت متدنية ومعيبة فقط وإنما لكونها أدت إلى إخلاء الساحة السياسية فضلا عن المؤسسة الإشتراعية للعابثين والمناوئين والذين يتربصون الدوائر بالإسلام وأهله وإلى إضعاف شوكة الطائفة الإسلامية بشكل خاص في مواجهة تمثيل قوي وعارم من كل الملل والنحل والقوى المعادية للإسلام لاشك أن ماحدث كان مأساة وأن مايزيدها فداحة وحدة عدم إحساس المتسببين فيها بمدى فداحتها وحدتها وبالتالي عدم شعورهم بالجريمة التي ارتكبت بحق الإسلام والمسلمين والساحة الإسلامية عموماً.

وأكتفي هنا بتبيان عدد من العوامل الرئيسة التي أدت إلى هذه النتيجة المخزية دون دخول في التفاصيل لأن المراد تشخيص الأداء وبالتالي وصف الدواء.

في الخطايا الحركية :

1 - **عدم أخذ القيادة على يد المسيء ومنعه على الاسترسال في إساءته مما أدى إلى تنامي الأهواء واستشراء المصالح الخاصة.**

2 - **تعطل المحاضن التربوية والنشاطات الدعوية وغلبة الشخصانية السياسية على المصلحة الإسلامية العليا.**

3 - **نشوء مراكز قوى داخل الصف وسيطرة عدد من الأشخاص على مواقع القرار في غفلة من القيادة المركزية أو استغفال لها أو تأثير عليها الأمر الذي تسبب بذهاب العذرية والشفافية والمبدئية وبالتالي تصنيف الأفراد بين موالين ومعارضين ومن ثم إقصاء المعارضين وتقريب الموالين مما أدى إلى وقوع خسائر بشرية كبيرة وإلى تمحور العمل ضمن دائرة محدودة ومحددة من الأشخاص القابضين على الزمام والمتسلحين بعصا تنظيم ليس إلا ..**

4 - اعتماد سياسة تصغير الكبير وتكبير الصغير لصعوبة ترويض الكبير ولسهولة قيادة الصغير مما أخلى الساحة من أصحاب المؤهلات العلمية والمقامات الاجتماعية وإلى فراغ الأجهزة والمؤسسات ومختلف المواقع التربوية والدعوية والسياسية والإدارية من القادرين على العطاء والإبداع والإنماء.

5 - تمكين بعض المؤسسات من الإمساك بمفاصل العمل ومواقع القرار من خلال جيش من الموظفين حسبهم أنهم مأمورون ومسيرون من قبل رب العمل ولولم يكونوا على المستوى المسؤولية المناطة بهم ضماناً للولاء المطلق وتخلصا من متاعب الأخوة الذين يمحصون الأمور ويستفتون الشرع ويقولون لا وألف لا حيث يجب الرفض وتتوجب المعارضة.

6 - عدم المحافظة على ذاتية القرار وشرعيته وبخاصة لدى التعامل مع القوى النافذة مما أدى إلى الرضوخ للذين ظلموا والركون إليهم بدل من الركون إلى الله والاستقواء به والاعتصام بحبله ثم العمل على استقطاب الناس عموما وجماهير المسلمين خصوصا فضلا على استيعاب القوى والفئات والتيارات الإسلامية جميعا، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾ {هود:113}.

7 - اعتماد سياسة البتر بسبب مخالفة تنظيمية مبررة وخلال ظروف يجب أن تكون فيها وحدة الصف متقدمة على أي اعتبار والتغاضي عمن ارتكبوا جرائم شرعية وتنظيمية مكررة وغير مبررة مما قصم ظهر البعير وأحدث فتنة عمياء بكماء صماء لاتبقي ولا تذر .

8 - عدم إتقان اللعبة السياسية ترشيحاً وتحالفاً خطاباً وأداءً والاتقان مطلوب في كل شيء وبخاصة لدى البحث عن المصلحة الإسلامية الحقيقية من خلال تقاطع المصالح مع الآخرين حيث أن المؤمن كيس فطن حريص على أن يكون جسراً للآخرين ومركباً لتحقيق مصالحهم.

جاء في كتاب السنن الإلهية د. عبدالكريم زيدان قوله : ودليل آخر على صحة ما قلته أن الجماعة المسلمة وهي تدعو إلى الله ويقاومها أهل الباطل تصير معهم في حالة الحرب وغالباً لا تكون قوة الجماعة مكافئة لقوة خصومها الذين يملكون قوة المال والأعوان والسلطان ويكون هذا التباين واضحاً وجلياً إذا كان خصوم الجماعة الدولة نفسها أي حكامها ففي هذه الحالة يجب على الجماعة المسلمة أن تعرف وزنها وقوتها فلا تتصرف إلا بحذر وبقدر ما يأذن به الشرع وكأنها في حالة حرب فعلية مع خصومها".

وأخيراً فأن اضطلاع السلف الصالح بفقه المعاصي والمصائب جعلهم مدركين لأسباب كل هزيمة وخلفية كل مصيبة غير ضائعين ولا تائهين في دوامة البحث والتنقيب عن أسباب ترضي أهواءهم وتشبع غرائزهم وتسقط عن كواهلهم المسؤولية.

إن وصية عمر بن الخطاب ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص قائد جيوش المسلمين إلى فارس ترسم صورة بيانية ميدانية للعلاقة بين المعصية والهزيمة حيث يقول: ((أما بعد ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا واعلموا أن عليكم في سيركم حفظه الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيله ولاتقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وأن أسأنا فرب قوم سلط عليهم شراً منهم كما سُلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ {الإسراء:5}، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم اسأل الله ذلك لنا ولكم))، (نهاية الإرب /168، والعقد الفريد /ج1 -ص49).

وأخيرا... أختم هذه الفقرة لفضيلة الاخ الدكتور "يوسف القرضاوي"، وردت في مقالة نشرتها مجلة المجتمع تحت عنوان (واجبات الصحوة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين)، جاء فيها قوله مخاطبا الصحوة الإسلامية:

-(ألا تشتغل بالفروع عن الأصول، ولا بالجزئيات عن الكليات، ولا بالشكل عن الجوهر، ولا بالنوافل عن الفرائض، وأن تتعمق في (فقه مراتب الأعمال) حتى لا تختل النسب الشرعية بين التكاليف، فتقدم ما حقه التأخير، وتؤخر ماحقه التقديم، وتعظم الهين من الأمور، وتهون العظيم وقد قال الامام الغزالي: (فقد الترتيب بين الخبرات من جملة الشرور)، كما قرر علماؤنا أن الله لايقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة، ولا يُقبل الفروع ممن ضيع الأصول.

-أن تراعي سنن الله في خلقه، وهي سنن ثابتة لا تتبدل، صارمة لا تجامل، فلا تلتمس حصاداً بغير زرع، ولا تستعجل ثمرة قبل أوان نضجها، وتعلم أن لكل شيء في الكون قانونه المطرد، فمن صادم قوانين الكون صدمته، ومن غالبها غلبته، ومن عمل من خلالها مهتديا بهدى الله كان نصيبه الفلاح في الأولى والآخرة).

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

السببية في فقه السنن الإلهية

عندما خلق الله الكون والإنسان والحياة، جعل لذلك نواميس وسننا ثابتة، تحكم كل شيء، ويجري كل شيء وفقها: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾ {الأحزاب:62}، وقوله: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾ {فاطر:43} ...

فكل ما يجري من احداث في الكون والانسان والحياة إما يكون نتيجة لها وليس نتيجة الصدفة التي يتذرع بها الماديون الذين لا يردّون الأمور إلى الله وإلى سنته الجارية بأمره سواء كان ذلك نتيجة التزامها أو مخالفتها.

فالسعادة والشقاء والعز والذل والقوة والضعف والنصر والهزيمة والوحدة والتفكك والرقي والتأخر وكل ما شاكل ذلك إنما هو نتيجة التعامل مع هذه السنن..

فالأخذ بأسباب السعادة من شأنه أن يحققها وبدونها يحل الشقاء حتما وهكذا بالنسبة لما شابهها من عزة وقوة ونصر ووحدة ورقي الخ...

في ضوء ذلك يصبح الإيمان بقانون السببية والأخذ به فريضة شرعية لأن خلاف ذلك يعني عدم الأخذ بالأسباب كما يعني القعود والجمود والتواكل مما يرفضه الإسلام وتأباه سنن الله تعالى في خلقه....

- إن وراء إهلاك الأمم أسبابا كثيرة من ذلك ما أشار الله إليه في كتابه حيث يقول: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ {الكهف:59}، فوقوع الظلم هنا هو سبب الهلاك...

- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ {طه:124}، إشار إلى أن شقاء المعيشة في الدنيا وسوء العذاب يوم القيامة سببه الإعراض عن شرع الله تعالى...

- وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۞وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ {الأنفال:45:46}، إشارة إلى أن الفشل والهزيمة وذهاب الأثر جاء نتيجة (عدم الثبات) كما نتيجة (الغفلة) عن ذكر الله إضافة إلى (النزاع والخصام)، وهي كلها أسباب بينة وظاهرة ومعتبرة .

- وفي قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ {النحل:112}، إشارة إلى أن حالتَيْ (الجوع والخوف) اللتين نزلتا بالقرية المذكورة كانتا بسبب (الكفر بأنعم الله تعالى) وبانعدام شكره عليها، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ {إبراهيم:7}.

إنه من خلال هذه الرؤية الإسلامية يمكن جلاء خلفية الأحوال وقراءة الأحداث الجارية والواقعة في حياة الناس أفراداً وجماعات وشعوباً ودولاً ومجتمعات ثم إن الأسباب الكامنة وراء الأحداث نوعان:

(الأول): مادي حسي كما الأخذ بأسباب القوة التي حضت عليها الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..﴾{الأنفال:60}، وكما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾{الأنفال:65}، وقوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾{النساء:102}، وكإتقان العمل الذي جاء التأكّد عليه في قوله ﷺ: ((إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه))، والإتقان هنا مطلوب بالإطلاق، في كل الأعمال، كما في جوانبها المختلفة التي تحقق الإتقان بالعزيمة المستطاعة .

(الثاني): إيماني معنوي، كالشطر الأخير في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾{آل عمران:159}. والتوكل هنا إنما جاء ترتيبه بعد استنفاد كل الجهد وعزيمة في الأخذ بالأسباب الحسية المادية.

ثم إن واجب التوكل على الله يجب أن لا يلغي واجب الأخذ بالأسباب فكلاهما واجب في ماهيته ودوره وكما أن شديد التوكل مطلوب فإن عزيمة الاستعداد والإعداد هي مطلوبة كذلك وإلى هذه الحقيقة والمعادلة كانت مقولة عمر الفاروق "عمر بن الخطاب" ﷺ للرجل الذي بقي في المسجد يهمهم بالقران وقد انصرف الناس إلى أعمالهم وأشغالهم وتجارتهم (قم لا تمت علينا ديننا أماتك الله).

وثمة حقيقة هامة ومهمة يجب أن تكون ملحوظة ومحتسبة لدى قراءة الأحداث في ضوء السنن الإلهية وهي أن إمداد الله تعالى إنما يتحقق ويقع في حال الأخذ بالسببين المعنوي والمادي جهد المستطاع فإن حدث خلل وتقصير في أحدهما انعكس سلباً على النتيجة وفي وصية "عمر بن الخطاب" ﷺ ما يصيب كبد هذه الحقيقة ففي مقطع من مقاطعها يقول: (وانما ينصر المسلمون

بمعصية عدوهم ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا).

قراءة عملية ميدانية لواقع الصراع مع العدو الصهيوني

قبل (انتفاضة الأقصى) وبعدها:

إن الأحداث الجارية اليوم على أرض فلسطين لم تات من فراغ ولم تقع صدفة فمنطق الصدفة هذا مرفوض في كل الأديان والشرائع السماوية والأحداث دائما تصنعها أسباب وهي محصلتها ونتاجها.

قبل الإنتفاضة كان منطق المفاوضة هو المعتمد ولم يؤد ومنذ مدريد إلا إلى المزيد من التداعيات والتنازلات والضعف في الموقف العربي كان من أسبابه :

- طبيعة العقلية الصهيونية التي لا ترضخ إلا للقوة ولا تعبأ بعهود ومواثيق.
- الواقع العربي المفكك بنية المتخلف عقلية المنهار اقتصاديا والفارغ والمضطرب عقائديا ...
- إرتهان الإرادة والسياسة العربية للدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية المنحازة دائما لإسرائيل ...
- ضعف النبض الوطني والتحرري المقاوم نتيجة الوهم الكبير الذي زرعته وسوقته وروجت له الأنظمة العربية على مدى نصف قرن من خلال وصف اسرائيل بالاسطورة التي لا تقهر!! كما من خلال سياسة القمع ومصادرة الحريات العامة...

كان هذا قبل الانسحاب الاسرائيلي من الجنوب وقبل اندلاع انتفاضة الأقصى، التي حققت التالي: إرباك الكيان الصهيوني، إسقاط منطق المفاوضات، تحريك الشارع العربي، امتلاك ورقة قوية قادرة على إملاء مواقفها على المنظمات الدولية والدول الكبرى والرأي العام العالمي... وأملنا أن تكون بداية زوال الكيان العنصري ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

الإسلاميون والإسلام....

حالة التحام أم انفصام؟

الإسلاميون معنيون أكثر من غيرهم باستكشاف مشكلات الساحة الإسلامية المجهضة للانجازات المانعة من الوصول إلى الأهداف والغايات ...

إنهم معنيون قبل غيرهم لأنهم يعيشون في ساحة الصراع وحمأة العمل وقلب المعركة بل إنهم جزء من التجربة والمسؤولين عن نجاحها أو فشلها.

ثم إنهم مطالبون بوضع دراسات دقيقة بين كل مرحلة ومرحلة لتقويم الأداء وإجراء الحساب لمعرفة الارباح والخسائر بكل شفافية وتجرد ومصداقية وبعيدا عن سياسة تبرير الأخطاء والتنصل من المسؤولية .

والإسلاميون حين يفعلوا ذلك يكونون في مستوى حمل الأمانة ويكون مستقبل الإسلام بهم زاهرا ومشرقا.

أما حين يتقاسعون أو يبادرون ولا يتقنون أو يمارسون مسؤوليتهم ولكن لا يصدقون فيكونون قد تسببوا بوقوع المزيد من المشكلات وحصول الكثير من التداعيات وحسابهم في ذلك كبير وموقفهم بين يدي الله عسير..

حالة الانفصام تبقى الأخطر:

قد تكون وراء المشكلات والتداعيات الكثير من الأسباب والمعصيات إنما هناك بحسب ماأرى وألمس والله أعلم سبب رئيس لا يماثله أو يدانيه سبب آخر ويتمثل في حالة الانفصام بين الإسلام والمسلمين بشكل عام وبين الدعوة والدعاة بشكل خاص .

وأعني بالانفصام حالة التناقض والتضادد بين الإسلام والمسلمين كما بين الدعوة والدعاة.

إنه لا يكفي أن يكون الإسلام عظيما وهو كذلك ولكن بدون عظماء أو أن يكون قادراً على إسعاد البشرية وحل مشكلاتها وصيانة المجتمعات وإشباع حاجاتها دون أن تكون هنالك فئة على قدر هذه المسؤولية تنهض بكل تلكم الأعباء والمهمات.

فالإسلام لم يكن أفكاراً مجردة ونظريات جامدة وإنما تحول إلى واقع بشري عاش هذه الأفكار والنظريات ومارسها في حياته اليومية ولهذا انتصر الإسلام بالمسلمين وانتصرت الدعوة بالدعاة لأن العنصرين كانا في حالة تكامل واتصال وليس في حالة انفصام وانفصال.

حال الإسلام

لست بصدد تبيان جوانب العظمة في الإسلام فيكفي أنه من عند الله وأنه خاتم الأديان والرسالات والذي أتم الله به النعمة وارتضاه لعباده أجمعين ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾{المائدة:3}.

إنما وردت الإشارة إلى بعض الجوانب التي تؤكد أن الإسلام منظومة متكاملة من القيم والفضائل وأن على المسلمين والدعاة أن يكونوا في هذا المستوى ليكونوا جديرين بالإنتماء لهذا الدين ودعوة الآخرين إليه وأن عليهم أن يجاهدوا الأهواء والإعداء ليبلغوا هذا المرتقى.

فالإسلام يحض على العلم واتباعه ينبغي أن يكونوا مبرزين في كافة العلوم والاختصاصات ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾{الزُّمر:9}، وقوله: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾{المجادلة:11}.

والإسلام يدعو إلى امتلاك كل أسباب القوة المادية وكل قوى الإنتاج الصناعية والزراعية والإدارية وامتلاك ما استودع الله في الأرض من ثروات بحرية ونفطية وحيوانية ومعدنية وغيرها... ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ..**﴾{الأنفال:60}.

والإسلام يدعو من حيث الأولوية إلى امتلاك كل أسباب القوة المعنوية كقوة العقيدة وقوة الوحدة وقوة التكافل وقوة الأخلاق والقيم والمثل.

والإسلام يعمل على ترفع المسلمين عن كل والصغائر والحقائر والسفاسف، التي تؤدي إلى تفشي الأمراض والعلل والمشكلات والتي من شأنها إعاقة المجتمع عن النهوض والتقدم والإرتقاء على مثل ما جاء من نصوص قرآنية: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ {آل عمران:103}، وقوله: ﴿..لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾{الحجرات:11}، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..**﴾{الحجرات:12}،

وقوله: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ {الفرقان:63}، وقوله: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ**﴾{آل عمران:105}.

والإسلام يصف المسلمين بما ينبغي أن يتحلوا به من صفات وكمالات على نحو ما جاء من نصوص قرآنية ونبوية مثل قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ۞وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**﴾ {المؤمنون:4:3}، وقوله: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ {الأنفال:3}،

و﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾{السجدة:16}، و﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ {المؤمنون:8}، و﴿..أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ..﴾ {المائدة:54}، و﴿..أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ..﴾ {الفتح:29}، و﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ..﴾ {النور:30}، و ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ {الحشر:9}، و ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾{الأنفال:2}، و ﴿..وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ..﴾{آل عمران:134}، و ﴿.. وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ ..﴾ {البقرة:177}، و ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ {النور:37}، و ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {المزمل:20} . مثل قوله ﷺ: ((المؤمن كيّس فطن))، ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ويؤلف)) (أخرجه الطبراني في الاوسط).

حال المسلمين :

ذاك هو حال الإسلام فكيف هو حال المسلمين؟

لكم آلمني قول من قال قديما : ماأجمل الاسلام وما أقبح المسلمين ! ثم رددها كثيرون حديثا حتى إنني سمعتها من فم (محمد أسد) الذي اعتنق الإسلام بسبب انهياره بمبادئه وبعد أن قام بجولة في العالم الإسلامي أدى خلالها فريضة الحج ووضع كتابه (الطريق إلى مكة) قال: (لو أني تعرفت على الإسلام من خلال واقع المسلمين لما كنت اعتنقت الإسلام).

ولكم آلمنا قول اليهودي الخاسر بن غوريون حين قال العرب لايقرؤون ... صحيح أنها مأساة وأنها معادلة صعبة ووقعها على النفس أليم إنما غيرتنا على الإسلام تدفعنا للاعتراف بهذا الواقع حرصا وسعيا وراء إصلاحه.

- فالإسلام يدعو المسلمين إلى أن يكون ولاءهم لله ورسوله وللمؤمنين والواقع أن ولاءهم للطاغوت!..

- والإسلام يدعو المسلمين إلى الاحتكام إلى شرع الله في كل ما يقع بينهم من مشكلات وما يواجهونه من مستجدات، مصدقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ..﴾{الشُّورى:10}، والواقع أن المسلمين يحتكمون إلى القوانين الوضيعة.
- والإسلام يدعو المسلمين إلى الوحدة والأخوة وعدم التفرقة والمسلمون يعيشون حالتي تمزق وصراع لم يشهد التاريخ لهما مثيلاً!

والإسلام يدعو المسلمين إلى امتلاك أسباب القوة والمسلمون تنازلوا لأعدائهم عن كل أسباب القوة .

- والإسلام يدعوالمسلمين إلى الأعداد والجهاد وإلى منابذة الأعداء على سواء والمسلمون استكانوا إلى الأرض وعطلوا فريضة الجهاد فحاق بهم الذل والهوان!
- والإسلام يدعو المسلمين إلى التحلي بالمثل والقيم ومكارم الأخلاق والمسلمون تفشت فيهم الموبقات وشاعت فيهم الفواحش. (وما تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء). ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ {مريم:59}.

عينات من عهد النبوة:

تحت هذا العنوان أود أن أقدم وبعجالة عينات مما حدث في عصر النبوة للتأكيد على أن أي خلل يمس التزام المسلمين بالإسلام مهما كان صغيراً أو بسيطا سينعكس سلباً وسوءاً على واقعهم:

- إن عدم التزام حامية عسكرية كلفت مهمة أمنية محددة يوم أحد حول النصر إلى هزيمة ذهب ضحيتها عدد كبير من الصحابة فيما كسرت (رباعية) رسول الله ﷺ.
- وإن اجتهاداً خاطئاً من القيادة في التعامل مع أسرى غزوة بدر الكبرى استوجب تنديداً ربانياً قاسياً تمثل في قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ..﴾{الأنفال:67}.
- وإن بوادر نزاع محدود نشأ بين الأنصار والمهاجرين استدعى من القيادة موقفا حاسماً زاجراً تمثل في قوله ﷺ: ((يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم)).
- وإن ملامح عجب جرت على لسان بعض المسلمين يوم حنين كادت أن تؤدي إلى هزيمة نكراء في صفوف المسلمين لولا أن تداركت القيادة الموقف وجاء تصوير ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ

اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ۞ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ {التوبة:26:25} .

- وإن تخلفاً عن الخروج إلى (معركة تبوك) من قبل ثلاثة من المسلمين استوجب مقاطعة رسول الله ﷺ والمسلمين لهم، إلى أن نزل قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** {التوبة:118} .

واخيراً ...

وإنني حين أرسم هذه الصورة المؤلمة لواقع الإسلاميين والمسلمين، فمن أجل أمرين اثنين:

الأول: للتأكيد على أن ما أصاب المسلمين ويصيبهم . على كل صعيد . إنما هو حصاد حالهم وأعمالهم، وليس حصاد ظروف خارجة عن إرادتهم.

الثاني: للتأكيد على أن هذا الواقع لايمكن تصحيحة إلا من خلال التزام القواعد التي تقوم عليها السنن الإلهية وفي مقدمتها (سنة التغيير) مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ..﴾** {الأنفال:53} .

إنه لابد من الأخذ بكل أسباب التغيير (المعنوية منها والمادية) وأن هذه المهمة الكبيرة تحتاج إلى أكفائها من العلماء والدعاة المخلصين المجاهدين كما من أهل الاختصاص وأصحاب الشأن والفاعلية في كافة مجالات الحياة ومؤسساتها المختلفة.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٩

العلاقة بين حب الله والحب في الله

حبنا في الله ثمرة حبنا لله:

تتعالى الشكوى في هذه الأيام من تفاقم ظاهرة الخلاف والاختلاف والإنشقاق والتفكك على الساحة الإسلامية إضافة إلى تراجع وضعف الأواصر الأخوية ووشائج الحب في الله بين المسلمين بشكل عام وبين الإسلامين بوجه خاص وتحديداً بين أفراد الجماعة الواحدة والتنظيم الواحد .

ترى ماهو السبب؟

هل هناك سبب رئيسي ؟أم ان هناك أسباب متعددة؟

وحتى لانذهب بعيداً أو نتهم بتعقيد المسألة فلندخل في صلب القضية وفي عمقها وإذا عرف السبب بطل العجب وسهل الحل وهان العلاج وبالله المستعان .

إن الأخوة الإسلامية آصرة مقدسة يعقدها الله بين قلوب عباده المؤمنين المتحابين فيه فهي ليست عقداً تنظيميا تفرضها اعتبارات حزبية ولو كانت إسلامية وهي ليست علاقة بشرية تقتضيها مصالح دنيوية وهي كذلك ليست صحبة طريق أو رفقة درب وإنما هي فوق كل هذا وذاك إلفة ربانية ومنَّة رحمانية أشار إليها كتاب الله تعالى في أبلغ وصف حيث قال: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ۞وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {الأنفال:63:62}.

إن تصورنا للأخوة الإسلامية وللحب في الله على هذا الأساس يفضي إلى وضع الأصبع على خلفية التداعيات الأخوية كافة مع الاعتراف بوجود أسباب جانبية للمشكلة تناولتها بإفاضة وإسهاب أقلام وأدبيات الكثير من المفكرين والكتّاب..

- **إنه لابد من الجزم بأن الأخوة هي (حجر الأساس الرباني) في إقامة (البنيان المرصوص) الذي يشد بعضه بعضا مصدقاً لقوله ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر))، وقوله: ((المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)).**

وإذا كانت الأخوة الإسلامية وشيجة ربانية يؤلف الله بها بين قلوب عباده المؤمنين فإن حب الله في الله هو غذاء هذه الوشيجة واكسيرها ونبضها وهو بالتالي ثمرة حبهم لله وكما يستحيل وجود فرع بدون أصل فإنه يستحيل قيام حب في الله من غير حب لله؟

وفي ضوء هذا يمكن أن يفهم المقصود العلوي الرباني من الدعاء المأثور " اللهم اجعل الموت راحة لنا من كل شر واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والهمنا حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنا الى حبك"

وانطلاقا من هذه القاعدة وتأسيساً عليها يصبح الوفاء بين الناس ثمرة وفائهم لله..

كما يصبح الصدق بينهم نتيجة صدقهم مع الله وتكون مؤديات الأعمال والخصال وفروعها مشتقة كلها من هذا البعد الإلهي الرباني.

وفي ضوء هذا كذلك يمكن الحكم على أية ظاهرة من ظواهر الخلاف والشقاق وأعراض ضعف الآصرة وذيول الحب في الله بأنها نتيجة طبيعية لفساد العلاقة مع الله سبحانه واجتراح ساخطة والوقوع فيما نهى عنه وإلى تحكم الأهواء والمصالح الدنيوية في المسار وهو مناقض لما ينبغي أن يكون عليه حال المسلمين؛ مصدقا لقوله ﷺ: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء ولا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)) (رواه البخاري)، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ {التوبة:24} .

خطوات تكميلية لتنمية الأخوة الإسلامية :

وحرصا من الإسلام على توثيق عرى الأخوة بين المسلمين فقد طرح مجموعة كبيرة من الخطوات التي من شأنها تنمية هذه الآصرة المقدسة لتبلغ أعلى مستويات الحب في الله من ذلك :

- أن يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه عملاً بقوله ﷺ، عن أنس ﷺ عن النبي ﷺقال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه)) (متفق عليه).
- أن يتحاشى كل ما من شأنه إخافته وترويعه امتثالاً لقوله ﷺ: ((لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)) (رواه احمد وأبو داود).
- أن يحاذر منافسته في أمر من أمور الدنيا، وأن يكون دائم الإيثار له؛ لقوله ﷺ: ((لايبع الرجل على بيع أخيه ولايخطب على خطبة أخيه، إلا أن يأذن له)) (رواه أحمد).
- أن يحجزه عن الظلم ويعينه على الحق، امتثالا لقوله ﷺ: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: ((تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره)) (رواه البخاري).

- أن يمشي في حاجته امتثالا لقوله ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)) (متفق عليه).
- أن يراعي الحقوق التي أوجبها الإسلام عليه، والتي صورها رسول الله ﷺ بقوله: ((حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس)) (متفق عليه).

وفي رواية لمسلم ((حق المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)).

- أن يحفظه في غيبته وحضوره، وأن يصونه في نفسه وماله وعرضه، امتثالا لقوله ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل مسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)) (رواه الترمذي).
- أن يكون دائم النصح له شديد الحرص عليه يعكس صورته إليه كما تعكس المرأة صورة الناظر إليها مصدقاً لقوله ﷺ: ((المؤمن مرآة أخيه))، وفي رواية: ((المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه)) (البخاري وابو داود).
- أن يحرص على زيارته باستمرار، ويحاذر من هجرانه؛ امتثالاً لقوله ﷺ: ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)) (رواه احمد)، وقوله: ((إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الاَّ ظلي)) (رواه مسلم).
- أن يكاشفه بحبه الأخوي، هذا لقوله ﷺ، مر رجل بالنبي ﷺ، وعند النبي ﷺ رجل جالس فقال الرجل: والله يا رسول الله إني أحب هذا في الله، فقال رسول الله ﷺ: ((أخبرته بذلك))؟ قال: لا، قال: ((قم فأخبره تثبت المودة بينكما))، فقام إليه وأخبره فقال: إني أحبك في الله، أو قال: أحبك لله، فقال الرجل: أَحبك الذي أحببتني فيه، (رواه احمد).
- أن يلقاه بوجه طلق، وابتسامة آسرة، وكلمة طيبة؛ امتثالاً لقوله ﷺ: ((لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)) (رواه مسلم)، وقوله: ((ابتسامتك في وجه أخيك صدقة)).
- أن تتخوّله بالهدية التي من شأنها تقوية الأواصر، وإمداد القلوب بمزيد من الحب في الله؛ مصدقاً لقوله ﷺ: ((تهادوا تحابُّوا)).

إن هناك الكثير من الخطوات التي من شأنها تنمية الأخوّة بين المرء وأخيه، والمطلوب منا جميعاً أن نخطوها ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الإنذار المبكر في الهدي النبوي

نحن مطالبون بمتابعة الخط البياني الرباني للمسار البشري ولطبيعة الأزمنة والعصور كيما نتعامل مع كل عصر وزمان بمقتضى الإسلام والهدي القرآني والنبوي وهما منارة من كل زلل والعاصم من كل زيغ وانحراف مصدقاً لقوله ﷺ: ((تركت فيكم شيئين ما إن تمسكتم بهما لن تضّلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي)).

فلكل عصر طبيعته وملامحه وقسماته من خير ومن شر والعصور ليست سواء ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾{آل عمران:140}.

ومعرفة العصر واجب للحرص على التزام الخير واجتناب الشر وصدق القائل "رحم الله امرئ عرف زمانه واستقامت طريقته".

ولقد حرص صحابة رسول الله ﷺ على معرفة طبيعة كل مرحلة قبل حلولها مخافة أن يدركهم شرها ويفوتهم خيرها.

يقول حذيفة رضي الله عنه: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يارسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم)، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم وفيه دخن)، قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر) قلت: فهل بعد ذلك من الخير من شرّ؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها). قلت: يارسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: (فأعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)) (رواه البخاري).

والسنة النبوية زخرت بإشارات وإيضاحات وتوصيفات ثم بإرشادات وتحذيرات تتناسب مع طبيعة كل مرحلة من تلكم المراحل وقبل مجيئها وكأنها أجراس إنذار مبكر تنبه الغافلين وترشد التائهين وتزيد الذين آمنوا إيمانا ..

وللدلالة والتأكيد على ماذهبت إليه من الحرص النبوي بالإنذار المبكر والعلاج الوقائي إقدم الأمثلة التالية :

ويقول رسول الله ﷺ: ((خير الناس قرني الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والآخرون أرازل))، وفي هذا تنبيه وتحذير للتابعين وتابع التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين من وعثاء السير ومنزلقات الطريق ومضلات الهوى ومن كل الفتن ما ظهر منها وما بطن ليستعدوا وليشمروا فلا يقعدوا مع القاعدين ويكونوا من الغافلين فاليوم عمل ولا حساب ويوم القيامة حساب ولاعمل وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيؤوا للعرض الأكبر)).

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: ((أنتم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ثم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش، وستحُولون عن ذلك، فلا تأمرون بمعروف ولاتنهون عن منكر ولا تجاهدون في سبيل الله، القائمون يومئذ بالكتاب والسنة لهم أجر خمسين صدِّيقا))، وهذا الحديث يعتبر إنذاراً مبكراً من عواقب الجهل وحب العيش التي من شأنها تعطيل فريضتين هامتين هما فريضة الحسبة، حيث تشيع المنكرات، وفريضة الجهاد، حيث تنزل الهزائم ويرتع الأعداء في أرض الإسلام؟

وفي إنذارٍ آخر شبيه بالذي سبقه يقول ﷺ: ((لاتزال لااله الا الله تنفع من قالها وتصرف عنه العذاب والنقمة مالم يستخفوا بها))، قيل: وما الاستخفاف بها يا رسول الله ؟ قال: ((يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير)) (رواه الاصبهاني). وفي هذا إشارة واضحة إلى سوء مصير الساكتين عن الحق المحجمين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع نطقهم الشهادتين وانتمائهم للإسلام؟ ومما يؤكد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما ركيزتا سلامة المجتمع وأمنه واستقامته وفلاحه وسعادته .

وفي لفتة استشرافية مخيفة، يقول رسول الله ﷺ ((إنها تأتي على الناس سنون خداعة، يصدّق فيها الكاذب، ويكذّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة)) . أي السفيه . (رواه أحمد)، وقد ينطبق على هذا الزمان الذي نعيش، ففيه تلك الصفات الذميمة التي جاء التحذير النبوي منها سابقاً لوقوعها، فأولو الأمر الناجز وأصحاب القرار النافذ في هذا الزمن جلهم ممن جبلوا على الكذب والخيانة وممن ارتضوا أن يكونوا في جبهة أعداء الإسلام. أما أهل الإسلام وأولياؤه ودعاته من الصادقين والأمناء والمؤتمنون، فإنهم متهمون بالكذب والخيانة وكل ماحتواه قاموس اللغة من خصال سوء ومنكر، فهم المتخلفون والمتطرفون والارهابيون والعملاء، ومطلوب أن يكونوا منبوذين محاربين مبعدين عن مواقع السلطة والقرار؟

وفي إنذار شديد التبكير يقول الرسول الأعظم ﷺ: ((يأتي على الناس زمان يغربلون فيه غربلة، يبقى منهم حثالة، قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا)) (رواه احمد)، وكأن الغربلة هنا مايتميز بالفتن والمحن والشدائد وبالرغب والرهب وكل صنوف الامتحان: ﴿..وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً..﴾ {الأنبياء:35}، وفي آية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾{محمد:31} وصولاً إلى النتيجة الحاسمة: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾{الأنفال:37}.

ولقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بإنذارات طالت مختلف نواحي الحياة ليحسن الناس قراءة مايجري لهم وأسباب ما يعتريهم من مشكلات ويصيبهم من مصائب، ثم ليتدبروا أمورهم ويصلحوا أحوالهم، وليكونوا مستبصرين...

فإلى ذلك كانت الآيات التي أشارت إلى أسباب هلاك الأمم لتجنبها؛ كقوله تعالى في إشارة إلى عاقبة الظلم: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾{الكهف:59} والآيات في هذا كثيرة وأسباب الهلاك متعددة.

وإلى ذلك كله أشارة الأحاديث النبوية إلى الأسباب الحقيقية الكامنة وراء المشاكل التي تعصف بالأفراد والمجتمعات والدول؛ كقوله ﷺ في نتيجة سوء اختيار أولياء الأمور: ((إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)) (البخاري)، وقوله في نتيجة السكوت عن الظلم وعدم نصح الحاكم: ((إذا رأيتَ أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تودع منها)) (الحاكم). وقوله في حب الدنيا وكراهية الموت: ((يوشك ان تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها))، قيل: أوَ من قلّة نحن يومئذٍ يارسول الله؟ قال: ((لا، إنكم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن))، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: ((حب الدنيا وكراهية الموت)).

وخلاصة القول في هذا المقام أن التخبط الذي يعيشه الناس والأمم والشعوب كما الدول والأنظمة والحكومات والمؤسسات والجماعات إنما يعود إلى عدم الأخذ بالأسباب الوقائية للمشكلات والأزمات، وعدم إدراك الأسباب الحقيقية الكامنة وراءها مما يجعل كل فعل بعد ذلك في غير محله، وبدون جدوى، وقد يزيد المشكلة تعقيداً، كصيحة في واد ونفخة في رماد... فنسأل الله الهدى والسداد.